

الإسلام

بين الحقيقة والادعاء

(رد على أهم الافتراءات المثارة ضد الإسلام)

إشراف

أ.د. محمد شفيق

رئيس مركز تنمية البحوث

أ.د. حامد طاهر

نائب رئيس جامعة القاهرة

د. إسماعيل عبد الرحمن

مركز تنمية البحوث

شارك في إعداد

المادة العلمية

أ.د. أحمد شلبي

أ.د. أحمد عمر هاشم

أ.د. أحمد كمال أبو المجد

أ.د. عبد الصبور شاهين

أ.د. عبد الصبور مرزوق

أ.د. محمود حمدي زقزوق

الإسلام

بين الحقيقة والادعاء

(رد على أهم الافتراءات المثارة ضد الإسلام)

إشراف

أ.د. محمد شفيق

رئيس مركز تنمية البحوث

أ.د. حامد طاهر

نائب رئيس جامعة القاهرة

د. إسماعيل عبد الرحمن

مركز تنمية البحوث

شارك في إعداد

المادة العلمية

أ.د. أحمد شلبى

أ.د. أحمد عمر هاشم

أ.د. أحمد كمال أبو المجد

أ.د. عبد الصبور شاهين

أ.د. عبد الصبور مرزوق

أ.د. محمود حمدى زقزوق

الناشر

الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع

٢٦ (أ) ش شريف عمارة الايموبيليا شقة ٤٢٩

تليفون : ٣٩٣٥٧١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى كل مسلم ومسلمة

الى أصحاب الديانات السماوية

الى كل ذى عقل وقلب وبصيرة

الى الانسان فى كل مكان

نقدم هذا الكتاب ..

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد

فقد كان الاسلام وما يزال هدفا لألوان كثيرة من العداء الدينى والسياسى. ولم يتورع أعداؤه من أن يستخدموا ضده كل الوسائل المادية والمعنوية ، بهدف القضاء عليه تماما ، أو الحد من انتشاره الذى يستقر دائما فى قلوب الناس.

هاجمه المشركون فى مكة ، واليهود فى المدينة ، وعلماء النصارى فى دمشق وبغداد ، وكثير من المستشرقين فى الغرب. وكان من أهم دوافعهم لذلك أنه اجتذب اليه العديد من الأتباع الذين وجدوا فيه راحة لنفوسهم ، واقناعا لعقولهم ، ومنهجا مستقيما لحياتهم.

ان الاسلام يوصى بأن تتم الدعوة اليه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والا يجادل المسلمون أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الا بالتى هى أحسن. ولا يجبر أحدا على اعتناقه ، ومن أهم مبادئه أنه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (١)

---

(١) سوره البقرة ، آية ٢٥٦.

الاسلام دين لايهاجم أحدا ، ولكنه قادر على الدفاع عن نفسه· وفي الآونة الأخيرة ، تعرض الاسلام لحملة شرسة ، قوامها أنه العدو الجديد الذى ينبغي محاربته ، بعد أن تم انهيار الشيوعية واستغل المغرضون فى ذلك بعض التصرفات الشاذة لقلة من أفراد المسلمين ، محاولين تعميمها على حوالى مليار مسلم مسالم يعيشون فى شتى أنحاء العالم·

ان حقيقة الاسلام ناصعة· وهى كالشمس فى وضوحها· ومع ذلك فان هناك من يغمض عينيه عنها ، أو يحاول اغماض عيون الآخرين· ولهؤلاء وأولئك يتجه هذا الكتاب ، البسيط فى ظاهره العميق فى معناه·

فهو أولا : يجلو المفهوم المتكامل للاسلام ، بالاعتماد على مصادره الرئيسية : القرآن والسنة ، وابراز مقوماته الأساسية فى مجالات : العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع· وبهذا تتضح الصورة الحقيقية للاسلام حتى يمكن التعرف بسهولة على سائر الصور المزيفة ، التى يروجها البعض عنه·

وثانيا : وهو المقصود الرئيسى من الكتاب ، يقوم بالرد على أهم الادعاءات المثارة ضد الاسلام قديما وحديثا بعد أن تم تجميعها بهذا الشكل لأول مرة بأسلوب علمى يعتمد على الحجة والبرهان ، ويضع فى يد المسلم المعاصر الأداة اللازمة للدفاع عن دينه ضد مختلف الافتراءات·

وسوف يجد القارىء كل ادعاء مشفوعاً بالرد التفصيلى عليه فى مجموعة من النقاط المحددة ، التى يمكن الاعتماد عليها كلها أو بعضها فى عملية الإقناع الهادىء والموضوعى .

ويتميز الكتاب بالبساطة والتركيز الشديد . وقد روعى فى الجمع بين هاتين الصفتين أن تصبح مادته العلمية متاحة للترجمة إلى جميع لغات العالم ، وقد ترجم بالفعل إلى كل من اللغة الانجليزية – والفرنسية والأردية ، وجارى إعداد طبعات أخرى بباقى اللغات الأوروبية .

بقيت الإشارة إلى قصة تأليف هذا الكتاب ، وترجع أهميتها إلى أنها جاءت نموذجا لتنفيذ فكرة الكتاب الجماعى ، وتبعا للخطوات المنهجية التالية :

١- موافقة مركز تنمية البحوث على موضوع الكتاب ، بعد مناقشته ، وثبوت أهميته .
٢- تحديد وصياغة الاعتراضات الموجهة ضد الإسلام فى شكل ادعاءات محددة .
٣- اختيار عدد من كبار العلماء ، ثم تكليفهم بالرد على تلك الادعاءات ، كل على حدة .
٤- تجميع الردود ، والقيام بعملية مزج وانتقاء ، وإعادة صياغة أحيانا ، حتى تظهر فى صورة موحدة .
٥- عرض الكتاب للمراجعة من مشيخة الأزهر الشريف ، ودار الإفتاء المصرية ، ولا يسعنا أن نسجل – بكل التقدير – الذى بذله فضيلة المرحوم

جـــاد الحـــق على جاد الحق ، شيخ الأزهر ، والأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الديار المصرية (حينئذ) .

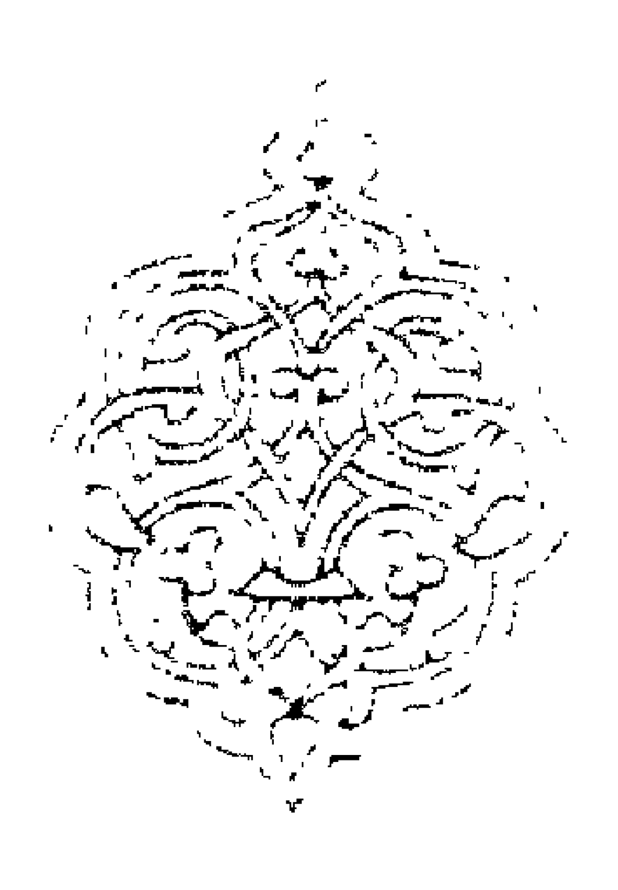
٦- تصنيف الأسئلة والإجابات ، والتقديم لها بمقدمة تتناول " المفهوم المتكـــامل للإسلام " ، كتبها أ.د. حامد طاهر.
٧- متابعة مراحل الطباعة ، والإخراج الفنى للكتاب.

ونسأل الله تعالى أن يجزى جميع المشاركين فى هذا العمل العلمـــى الخـــالص لوجهه الكريم خير الجزاء ، لقاء ما قدموه دفاعا عن الدين الحنيـــف ، وجـــلاء لمفهومه الصحيح.

المشرفون على الكتاب

أ. د. محمد شفيق

أ.د. حامد طاهر **د . إسماعيل عبد الرحمن**



المفهوم المتكامل للاسلام

الاسلام هو آخر دين سماوى ، وهو يتميز بالبساطة ، ويمكن أن تتقبله بسهولة كافة العقول ، ويتجه بتعاليمه الى الانسان فى كل زمان ومكان٠

وبمجرد أن "يعلن" أى شخص"الشهادة" بأنه : "لااله الا الله ، وأن محمدا رسول الله" ، يصبح مسلما ، يمتلك عددا من الحقوق ، وتفرض عليه بعض الواجبات ، فى اطار نظام دينى واجتماعى وثقافى متكامل ، يراعى المتطلبات المادية ، كما يستجيب للطموحات الروحية لكل من الفرد والجماعة٠

وبسبب سوء الفهم أحيانا ، والفهم المنقوص للاسلام فى كثير من الأحيان ، يصبح من المفيد عرض المفهوم المتكامل للاسلام ، فى صورته الأولية ، وتبعا لتاريخ تكونه ، مع الاعتماد على مصادره الأساسية التى ترجع مباشرة الى القرآن الكريم والسنة النبوية٠

وللاسلام أربعة مقومات رئيسية ، لا يتكامل مفهومه ، ولا يستقر نظامه الا بها ، وهى : العقيدة ، والشعائر ، والأخلاق والتشريع٠

والعقيدة ، كما نعلم ، محلها القلب٠ وهى تتضمن

الاعتقاد فى وحدانية الله ، خالق الكون ، وحافظ نظامه ، والمطلع على خفاياه ، والمستحق - وحده - للعبادة وما يصحبها من تضرع وتوبة ، واستعانة٠٠٠الخ ، ثم الاعتقاد بالبعث بعد الموت وما يشمله من حساب ، وما يتبعه من ثواب أو عقاب٠

وقد حدد القرآن والسنة عناصر العقيدة فى : الايمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبالقدر : خيره وشره ، وباليوم الآخر٠

والمطلوب فى العقيدة أن تكون راسخة فى قلب المسلم ، متمكنة من عقله ، وهنا تجدر الاشارة الى أن القرآن الكريم يدعو كل انسان أن يتثبت بنفسه من "مصداقية" هذه العقيدة باستعراض التاريخ ، ومصائر الأمم السابقة ، والبحث الدائم فى الكون ، وتأمل ظواهره الطبيعية٠٠ حتى يكون ايمان القلب مؤيدا باقتناع العقل٠

وتحتل العقيدة فى القرآن مكانة أساسية ، باعتبارها المحور الذى تدور حوله حياة المسلم ، وترتبط به٠ ومن المعروف أن الرسول ﷺ ظل فى مكة ثلاثة عشر عاما ، يعلم الناس العقيدة٠ وحوالى نصف القرآن الكريم يتحدث عنها ، ويعمل على تأكيدها٠ وفى سبيلها استشهد عدد من المسلمين الأوائل رجالا ونساء ، تحت تعذيب المشركين من أهل مكة ، الذين حاولوا بكل الوسائل أن يرجعوهم عن توحيد الله الى عبادة الأصنام٠

والواقع أن العقيدة الاسلامية هى التى تعطى لحياة المسلم معناها وتحدد لها غايتها٠ ففى الوقت الذى يتجه فيه بالخضوع

الى مالك السموات والأرض، يشعر أنه تحت عنايته ، وأن رحمته الحانية تحيط به من كل جانب· ان أعمال الانسان كلها - فى وجود العقيدة الاسلامية الصحيحة - تصبح متجهة نحو غاية موحدة هى الحصول على رضا الله ، وتجنب سخطه ، وبالتدريج يتكون فى أعماق المسلم نوع من الضمير الأخلاقى ، الفائق الحساسية لتشكيل مواقفه من الخير والشر ، من الرذيلة والفضيلة ، وهو ما يعرف فى لغة الدين باسم "التقوى"·

أما الشعائر الاسلامية فهى أربع :
الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج·

والصلاة : هى عماد الدين· ومعناها اللغوى : الدعاء· وهى بالفعل مجموعة أدعية ، وآيات قرآنية تجرى تلاوتها فى حركات وأفعال محددة (قيام وركوع وسجود) ويتم أداؤها على انفراد ، أو فى جماعة منتظمة الصفوف يتقدمها "امام" وهذا أفضل وأكثر ثوابا ، وتقام خمسمرات فى اليوم والليلة : الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء·

أما يوم الجمعة من كل أسبوع ، فانه ينفرد بصلاة الجمعة الجامعة ، حيث يشهدها حشد هائل من أهل الحى ، وتسبقها "خطبة" يعرضفيها الامام احدى القضايا التى تهم المسلمين ، ويدعوهم الى التمسك بالدين والاستغفار الى الله تعالى·

لكن هل الصلاة مجرد أدعية وأفعال خالية من المضمون الروحى؟ كلا ، فانها فى الاسلام عبارة عن لقاء مباشر بين المسلم

وربه. والقرآن الكريم يذكر أنه كلما كان المسلم فى حالة السجود كان أقرب ما يكون الى ربه ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾(١). كذلك يصف القرآن الكريم الصلاة بأنها ﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾(٢). وهذا معناه أن الصلاة الحقيقية التى يؤديها المسلم بوعى وخشوع من الطبيعى أن تمنعه عن ارتكاب الجرائم الكبرى ، والمعاصى الصغيرة. ومن المستبعد أن نتصور انسانا يخرج من لقاء ربه ، ليستعد الى لقاء آخر.. ثم يقدم على ما لا يرضاه!

وقد جاء وصف الصلاة فى القرآن أيضا بأنها تعتبر - مع الصبر - وسيلة مهمة تساعد المسلم على مواجهة المشكلات اليومية التى يتعرض لها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (٣). وهذا يعنى أن الصلاة تقوم بدور ايجابى فى حياة المسلم : فبينما تعده لمواجهة مشكلات الحياة اليومية بثبات ، تعطى له فرصة الراحة النفسية بأثرها عليه. ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول لبلال ، مؤذن الصلاة فى عهده ، "أرحنا بها يا بلال"!(٤).

وللصلاة شرط أساسى وهو طهارة الجسد بالاغتسال أو الوضوء. ومن الواضح أنها تأتى بعد ذلك لتقوم بتطهير النفس والروح.

---

(١) سورة العلق ، الآية ١٩.

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥.

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٥٣.

(٤) رواه أبو داود ، والدارقطنى.

وهكذا يتحقق فيها المعنى الذى أشار اليه الرسول ﷺ فى حديث جميل يشبه الصلاة التى يؤديها المسلم خمس مرات فى اليوم والليلة : باغتسال انسان خمس مرات يوميا من نهر يجرى ماؤه أمام منزله. فكما أن هذا الأخير لا يبقى على جسده أى أثر من الاتساخ ، فكذلك المؤدى للصلاة : تتطهر نفسه وتصفو.(١)

وأخيرا فان الصلاة - بما تشتمل عليه من أدعية واستغفار واتجاه بالقلب والعقل والجسد الى الله تعالى - تقوم بدور هام فى ترسيخ العقيدة فى نفس المسلم ، وتزويدها بطاقة يومية متجددة.

أما الصوم فهو عبارة عن الامتناع عن الطعام والشراب (والعلاقة الجنسية بين الزوجين) منذ طلوع الفجر حتى غروب الشمس، خلال شهر رمضان من كل عام.

وقد ذهب البعض فقالوا ان الغرض من الصوم هو أن يحس الغنى بألم الجوع الذى يعانيه الفقير. ولكن الصوم مفروض على جميع المسلمين سواء أكانوا أغنياء أم فقراء. والأقرب الى طبيعة هذه الشعيرة أنها تقوم بدور هام فى تعديل عادات المسلم التى ربما تكون قد تكونت خلال عام : فالملاحظ أنه خلال شهر رمضان تجرى حياة المسلمين جميعا على نمط واحد يختلف بالتأكيد عن بقية شهور السنة.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

وبذلك فان الفرصة تكون مواتية لمن ارتاح الى عادة سيئة (كشرب القهوة ، أو تدخين السجائر...الخ) أن يقلع عنها بعد شهر رمضان ، الذى يفرض عليه الامتناع عن الطعام والشراب وهما من الضروريات.

لكن هناك حكمتان تظهران بوضوح من الصوم : الأولى أنه يعمل على تقوية الارادة الانسانية لدى المسلم ، والاراده تعنى هنا القدرة على القرار الذى يتخذه الانسان بنفسه للامتناع عن كل ماتدعوه المغريات اليه. فطعام الانسان يكون حاضرا بين يديه ولكنه يمسك عنه التزاما لتعاليم الدين ، وتنفيذا لأوامر الله. وهكذا فانه اذا نجح فى امتناعه عن الحلال كان قادرا على الامتناع عن الحرام : مثل أكل أموال الناس بالباطل ، واشتهاء نساء الآخرين حراما.

والحكمة الثانية للصوم تكمن فى احياء الوازع الدينى (الضميرالانسانى). ومن الواضح أن الصوم - من بين الشعائر الأخرى - هو العبادة ذات الطابع السلبى ، بمعنى أن المسلم حين يؤديها لاتظهر على أعضائه ، مثل الصلاة والزكاة والحج. فمن الذى يستطيع أن يميز بين شخص تناول افطاره فى الصباح وبين شخص آخر لم يتناول شيئا؟ ومن هنا كان الصوم "عبادة خاصة جدا" بين المسلم وربه ، لا يطلع عليها غيرهما. وفيها يمتنع الرياء تماما. والرياء هو أداء العمل للتظاهر به أمام الآخرين ، حتى يكتسب الانسان محمدة لديهم. لذلك يقول الله تعالى - فى

حديث قدسي- : "كل عمل ابن آدم له الا الصيام ، فانه لى ، وأنا أجزى به"•(١)

ان هذا الوازع الدينى (الضمير) الذى يغرسه الصوم فى نفس المسلم هو ما سبق الحديث عنه تحت اسم "التقوى" ، وهى عبارة عن الاحساس الدائم واليقظ بأن الله تعالى مطلع على كل ما يجول بخواطرنا ، وليس فقط على ما نفعله أو نقوله بعيدا عن أعين الناس•

ثم تأتى بعد الصلاة والصوم الشعيرتان الأخريان ، وهما الزكاة والحج : الأولى لا تجب الا على الأغنياء ، والثانية تجب فقط على من استطاع اليه سبيلا•

والزكاة فى اللغة العربية تعنى النماء والطهارة ، وهى عبارة عن اخراج نسبة بسيطة جدا من مقدار معين من المال ، يمضى على ملكيته عام كامل ، دون أن يحتاجه صاحبه• ولا شك فى أن العدالة الالهية واضحة هنا تمام الوضوح• فالشخص الذى يكسب قوته يوما بيوم لا تجب عليه الزكاة ، والشخص الذى يمتلك مالا وفيرا ، ولكنه مستمر طوال العام فى الانفاق منه•• لا تجب عليه الزكاة ، وانما هناك نصاب محدد للزكاة وبشرط ان يكون مستقرا لمدة عام كامل فى ملكية صاحبه•

---

(١) رواه مسلم •

ومن الممكن أن تنشأ هيئة مختصة لجمع أموال الزكاة من المسلمين ، وكذلك لانفاقها. وقد حدد الله تعالى فى القرآن الكريم أوجه انفاق أموال الزكاة. وهى كلها تدور حول مساعدة المحتاجين ، والتخفيف عن الفقراء والمساكين ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (١). وبذلك يتحقق من خلال هذه الشعيرة اقامة نوع من التكافل الاجتماعى المطلوب لتوازن حركة المجتمع الاسلامى ، واستمراره.

لكن المسلم الغنى يعلم جيدا أن الزكاة المفروضة عليه لا تمثل الا نسبة ضئيلة جدا من دخله العام. ولذلك فهو مدعو دائما الى "التبرع" فى وجوه الخير ، والاصلاح الاجتماعى. ومن هنا ، رأينا الكثير من المسلمين يبنون بأموالهم الخاصة المساجد ، وينشئون المدارس والمستشفيات ، وحتى بعد موتهم ، يوصون بعمل "الأوقاف الخيرية" التى يصرف عائدها المستمر على الفقراء والمساكين ، بل وعلى الحيوانات والطيور (توجد فى أعلى مسجد "أبو الدهب" وهو المقابل مباشرة للأزهر فى القاهرة : مئذنة ، تعلوها خمسة أوعية ضخمة مفتوحة ، يقال انها كانت مخصصة لوضع مختلف أنواع الحبوب ، وكذلك الماء : خدمة للحمام والعصافير) !

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٦٠.

واذا كانت الزكاة مفروضة على كل مسلم قادر من الناحية المالية، فان الحج وهو الشعيرة الرابعة والأخيرة فى مجال العبادات، لايجب الا على المسلم القادر من الناحية المالية والصحية ، مرة واحدة فى العمر.

والحج: عبارة عن رحلة الى مكة ، حيث توجد الكعبة : بيت الله الحرام ، الذى أقامه ابراهيم ، عليه السلام ، وأصبح محورا يتجه اليه مسلمو العالم كله فى صلواتهم اليومية. ويشتمل الحج على عدد من الشعائر أهمها الطواف بالكعبة ، والوقوف على جبل عرفات ، مع اعلان وحدانية الله تعالى ، والخضوع اليه ، والشكر له على ماوهب الانسان من نعم وعطايا.

فى موسم الحج ، يجتمع المسلمون من شتى بقاع الأرض : شعوبا مختلفة ، ولغات مختلفة ، ليلتقوا على هدف واحد، ويؤدوا شعائر موحدة. ومن الممكن أيضا أن يتبادلوا المنافع فيما بينهم ، ويؤكدوا أواصر الأخوة ، ويحددوا أسس التعاون بينهم. ومن الواضح أن المسلم فى وسط هذا الاحتشاد الكبير يشعر بعزة الاسلام الذى يدين به ، والذى دفع هذه الجموع من حوله لكى تلبى نداء واحدا، وتسعى نحو غاية واحدة. وبذلك تكتمل الدائرة الواسعة ، التى بدأت من الفرد ، وانتهت بالانسانية كلها : ويتحقق قول الله تعالى فى القرآن : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾(١). وقوله : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٢).

---

(١) سورة سبأ ، الآية ٢٨.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨.

تلك هى الشعائر الاسلامية : بسيطة ، ومتدرجة ، ومترابطة فيما بينها٠ وأهم مايلاحظ عليها أنها تؤكد فى نفس المسلم خضوعه لله تعالى ، وخشيته الدائمة له ، والعمل المستمر لنيل رضاه٠ وهى فى الوقت الذى تربط المسلم بربه ، تقيم أفضل العلاقات بينه وبين الناس من حوله٠ فالصلاة تؤدى عادة مع أهل الحى ، والصوم يمنع المسلم من ايذاء المسلمين بيده أو لسانه . والزكاة تدعوه للعطاء ، وترقق قلبه للمحتاجين٠ وأخيرا فان الحج هو المؤتمر الكبير الذى يظهر فيه لقاء المسلم باخوته من سائر الشعوب ، وهو لقاء انسانى ، يعلو فوق اختلاف الأجناس واللغات٠

وهكذا نجد أن المسلم - بعقيدته القوية ، وأدائه الصادق للشعائر - يصبح مؤهلا ليكون عضوا صالحا فى مجتمع فاضل٠ والعضو الصالح هو الذى يتجنب بدافع من ضميره كل الرذائل ، ويتمسك بدافع من ضميره أيضا بكل الفضائل٠ وهذا يعنى أنه فى غير حاجة الى رقابة من رئيس أو مسئول٠ وهنا نصل الى المقوم الرئيسى الثالث للاسلام ، وهو الأخلاق٠

والأخلاق: جمع خلق٠ والخلق ببساطة هو عبارة عن دافع وسلوك٠ ويختص الدافع بالنية ، والارادة ، والتصميم ، بينما يشكل السلوك تصرفات الانسان الخارجية٠ ومن الواضح أن الدافع هو أساس السلوك٠ ومن هنا فقد اهتم الاسلام اهتماما شديدا بتكوين هذا الدافع تكوينا ممتازا٠ ويبدأ هذا التكوين من ربطه بالعقيدة ، وتجديده المستمر بالشعائر ، حتى يصبح المسلم ، ونيته متجهة دائما للحصول على رضا الله ، وتصميمه أكيد على

عدم عصيان أوامره ، مع الاحساس المستمر بأن الله تعالى رقيب على حركة نفسه ، مطلع على أدق خواطره·

لكن الأخلاق لاتظهر الا فى سلوك· وهذا السلوك يتطلب وجود أشخاص آخرين يجرى التعامل معهم فى اطار علاقات متبادلة· ويمكن القول عموما بأن العلاقات التى تدور فيها تصرفات الانسان تتمثل فى ثلاث دوائر رئيسية هى : دائرة الأسرة والجيران ، دائرة الأصدقاء وزملاء العمل ، دائرة المسلمين وغيرهم·

وفى معاملة الأقارب ، يبرز التعبير الاسلامى المشهور "صلة الأرحام" ، ومعناه دوام المودة ، والعطف ، والمساعدة ، والمتابعة لجميع الأقارب·

وفى مقدمة الأقارب ، تحتل معاملة الوالدين مكانة خاصة جدا ، فالرسول ﷺ يقول لأحد المسلمين ، حين سأله عن موضوع الانفاق على والده "أنت ومالك لأبيك" (١) أما الأم فلها كل العطف والرعاية "الجنة تحت أقدام الأمهات" (٢)· ان طاعة الوالدين فى الاسلام مطلقة· ولا تستثنى الا حالة واحدة فقط ، وذلك عندما يدعوان ابنهما الى الشرك بالله·

---

(١) رواه ابن ماجه والطبرانى·

(٢) رواه القضاعى فى مسند الشهاب ، والخطيب البغدادى فى الجامع·

ولعلنا لم نحس بقيمة التعاليم الاسلامية الرحيمة بالأبوين الا عندما ظهر فى العصر الحديث ما يسمى ب"بيوت المسنين" ، وفيها يدفع الأبناء بآبائهم وأمهاتهم الكبار فى السن الى أماكن مخصصة لرعايتهم صحيا وثقافيا ، ولكنها تخلو بالتأكيد من دفء العلاقة الحميمة التى يدل عليها تعبير الاسلام "صلة الأرحام"٠

كذلك يتيح الاسلام كل الظروف الملائمة لمعاملة الزوجة معاملة كريمة، تبدأ من مسئولية الانفاق عليها ، وتلبية كل حاجاتها المادية ، حتى أدق التفاصيل التى تدعو المسلم - مثلا - الى أن يخاطبها بكنيتها "يا أم فلان" بدلا من استخدام اسمها المباشر: تكريما لها ، وحفاظا على احترامها فى داخل المنزل٠ ولا يعرف الاسلام زواج القهر٠ فالحرية مكفولة تماما للزوجين فى بدء الزواج٠ وكذلك فى الاستمرار فيه بالمعروف والحسنى٠ أما اذا تعذرت الحياة بينهما لأى سبب ، فان الطلاق هو الحل٠ ومع ذلك ينبغى أن يكون الرجل كريما جدا فى هذا الموقف٠ يقول الله تعالى : ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (١) ومعناه : اما زواج يستمر بالحسنى ، أو انفصال يتم بالاكرام٠

وأما ما نسمع عنه أحيانا من اجبار بعض الفتيات المسلمات على الزواج بمن لاترغبن فيه ، أو سوء معاملة بعض الأزواج لزوجاتهم ، أو استخدام حق الطلاق استخداما مؤذيا٠٠ فكل هذه حالات ناشئة عن طبائع وحشية ، وتصرفات غير مسئولة ، لايقرها الاسلام ، ولم تأمر بها تعاليمه٠

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢٩٠

أما معاملة الجار : فتحتل فى مجال الأخلاق الاسلامية مكانة كبرى ، ولها حكمة عظيمة لاتخفى على المهتمين بأحوال الاجتماع البشرى• يقول الرسول ﷺ "ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"(١) ومعنى هذا أنه يعتبر امتدادا للأسرة• فالمسلم مطالب بأن يعود جاره عند المرض، ويواسيه فى النكبات، ويشاركه فى الأفراح ، ويواصل مودته بالهدايا والدعوات• ومن المؤكد أن احترام هذه العلاقة هى التى جعلت من "الحى السكنى" فى المجتمع الاسلامى وحدة عضوية مترابطة فيما بينها ، يلاحظ ذلك أى سائح أجنبى يزور أحد البلاد الاسلامية ذات التقاليد العريقة•

واذا كانت "المدينة" بحياتها العصرية ، الموغلة فى التقوقع والفردية ، قد مزقت بعض الروابط الاسلامية بين الجيران فان الأحياء الشعبية ومناطق الريف الواسعة مازالت تحتفظ حتى الآن بالكثير من هذه الروابط•

ثم ان المسلم فى معاملة أصدقائه وزملائه فى العمل نموذج جيد للمعاونة ، "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"(٢)•

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن حنبل•

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى•

والايثار الناتج عن الأخوة في الله ، وينص الحديث النبوى على "أن يحب الانسان لأخيه ما يحب لنفسه ، فقال صلى الله عليه وسلم : "لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه"(١)
والصدق، والوفاء بالوعد ، ورد الأمانة لأصحابها ، واسداء المشورة لمن يحتاجها ، والسعى الدائم فى قضاء مصالح الأصدقاء.

وفى مجال معاملة المسلمين عموما ، نجد الحديث النبوى يعرف المسلم بأنه هو الذى : يسلم المسلمون من لسانه ويده، فيقول ﷺ "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"(٢) أى الذى لايؤذى أحدا بفعل ، ولا بقول. وفى هذا الاطار ، يأتى تطهير الطريق من القاذورات أو الأحجار التى قد تكون سببا لالحاق الأذى بالمارين فيه.

واذا كان كف الأذى أمرا سلبيا فى مظهره ، فان هناك جوانب ايجابية كثيرة جدا منها : القاء التحية على الجالسين أو العابرين ، ورد تحية الآخرين بأحسن منها ، والاستئذان قبل دخول بيوت الغير ، وغض البصر عن النساء الأجنبيات ، والمجادلة عند الحوار بالحسنى ، والوعظ بالحكمة.. هذا بالاضافة الى اكرام الضيف ، واطعام الجائع ، وايواء الغرباء الذين لا مأوى لهم.

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حنبل.

(٢) رواه مسلم.

وبالنسبة الى غير المسلمين ، الذين يعيشون فى المجتمع الاسلامى ، وهم غالبا من اليهود والنصارى ، فلهم ما للمسلمين من حقوق ، وعليهم ماعليهم من واجبات. وهم يتلقون من المسلم الحقيقى كل احترام لشعائرهم ، ويحل له تناول طعامهم ، والتزوج من نسائهم ، واذا حدث جدال معهم ، فلا يجادلهم الا بالتى هى أحسن. كذلك فان التعامل الاقتصادى معهم مباح. وقد توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى. ومن أزواج الرسول ﷺ مارية القبطية التى أنجبت له ابنه ابراهيم.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الخليفة الثانى للمسلمين أعطى فقراء أهل الكتاب نصيبا من بيت مال المسلمين ، كما أسقط الجزية (الضريبة) من على القساوسة والرهبان. وعلى مدى التاريخ الاسلامى ، كان أطباء الخلفاء والحكام فى الغالب من اليهود والنصارى ، وقدمت لهم الحضارة الاسلامية أفضل الفرص لحياة كريمة ومزدهرة. ولم يحدث اضطهاد الا فى عصور التعصب والتخلف ، وعلى أيدى أشخاص لم يفهموا روح الاسلام وانما تصرفوا بدوافع خاصة من طبيعتهم الفاسدة.

ولا تتوقف الأخلاق الاسلامية على التعامل مع الناس فقط بل انها تمتد فتشمل الحيوانات والطبيعة بما فيها من جماد ونبات.

فالأرض فى نظر القرآن مكان للزرع ، وليست ميدانا للتدمير. والبحار مسخرة لنقل الانسان والبضائع ، واستخراج الطعام

الجيد ، وليست مجالا للمناورات الحربية. والرسول ﷺ ينهى المسلمين - فى حالة الحرب - أن يقطعوا شجرة الا لطعام. أما الحيوانات ، فالاسلام بها رفيق للغاية : لاينبغى على الانسان أن يقيم صراعا بينها (كما يحدث فى صراع الديكة) ، أو يستخدمها فيما لم تخلق من أجله (مثل صراع الثيران الوحشى). وعندما رأى رسول الله ﷺ عصفورة ترفرف بجناحيها قرب الأرض، قال لأصحابه : "من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها اليها"(١).

ويروى عن الرسول ﷺ أنه قال : دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها ، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت(٢).

كما روى عنه ﷺ أن رجلا أصابه ظمأ شديد فنزل بئرا ليرتوى من مائها ، فلما خرج منها رأى كلبا يلهث ، يلحس الثرى من العطش، فقال : "لقد أصاب هذا الكلب من الظمأ مثل الذى أصابنى" ، فنزل البئر وملأ خفه وسقى الكلب ، فغفر له (٣).

هذه مجرد لمحة سريعة عن بعض جوانب الأخلاق الاسلامية وهى كثيرة ومتنوعة. حتى ليمكن القول بأن الاسلام كله أخلاق.

---

(١) سنن ابى داود.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

والرسول ﷺ يؤكد أنه انما بعث ليتمم مكارم الأخلاق(١)٠ وهو يقول عن نفسه : "أدبني ربي ، فأحسن تأديبي" (٢)٠

أما السيدة عائشة زوج الرسول ﷺ فانها عندما سئلت عن أخلاق الرسول ﷺ أجابت قائلة : "كان خلقه القرآن"(٣) وهذا يعني أن الرسول ﷺ يمثل في حياته العملية : النموذج الأكمل الذي تحققت فيه جميع الأخلاق والآداب التي دعا اليها القرآن الكريم٠ وفي هذا دلالة واضحة على أن المبادىء والقيم الأخلاقية الاسلامية - على الرغم من سموها ومثاليتها - قابلة دائما للتحقق العملي في حياة البشر٠

دخل الحسن بن علي رضي الله عنه ، وهو صبي ، على رسول الله ﷺ ، وقد سجد ، فركب على ظهره ، فأبطأ في سجوده حتى نزل الحسن عنه فلما فرغ قال له بعض أصحابه : يارسول الله ، قد أطلت سجودك فقال : "ان ابني ارتحلني ، فكرهت أن أعجله"(٤) ٠

وأكل يوما الرطب في يمينه ، وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار اليها بالنوى ، فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ ، وانصرفت الشاة(٥)٠

---

(١) مسند ابن حنبل وموطأ مالك٠

(٢) رواه ابن السمعاني في أدب الاملاء٠

(٣) رواه مسلم وابو داود وابن حنبل٠

(٤) سنن النسائي ومسند ابن حنبل٠

(٥) مسند ابن حنبل٠

ويكفى أنه القائل : "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله"(١)٠

وأخيرا ، فان الأخلاق فى الاسلام تكاد تنظم كل ألوان السلوك الفردى ، وهى تنبع كلها من "تقوى الله" ، والشعور الأكيد بأنه الحكم العدل الذى لا يظلم أحدا مثقال ذرة من خير أو شر ، وبذلك يتأكد للحياة الأخلاقية أساسها الذى تقوم عليه ، وهو هنا الجزاء الالهى ، الذى يعاقب على السيئة بما تستحقها ، ويكافىء الحسنة بعشرة أمثالها٠

وهكذا لا نصل الى المقوم الرابع للاسلام ، وهو التشريع الا بعد بناء يكون قد استقر بالفعل على العقيدة والشعائر والأخلاق٠ وليس التشريع سوى مجموعة القوانين والأحكام التى تنتظم حياة الفرد والجماعة الاسلامية بها ، هذا بالاضافة الى تحديد عقوبات الجرائم الهامه٠

والتشريع الاسلامى غنى جدا ومتنوع٠ وقد تكفل علم "الفقه" ببيان أحكامه المختلفة التى تتعلق بالعبادات (وأشكال أدائها) والمعاملات (المالية مثل البيع والشراء والرهن والضمان٠٠الخ) والأحوال الشخصية (مثل الزواج والطلاق والميراث)٠

---

(١) رواه مسلم٠

وقد لاحظ علماء القانون ، مثل غيرهم ، ما يتميز به التشريع الاسلامى من عدالة وسماحة ، ومراعاة لمصالح الناس ، وعدم احراجهم بالتكاليف الصعبة ، أو غير المعقولة. ومن المؤكد أن هذه الأسباب كانت وراء سرعة انتشار الاسلام واستقراره فى بلاد كانت ذات حضارات سابقة ، ونظم تشريعية قديمة.

ويغطى التشريع الاسلامى كل جوانب الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية ، كما يضع الأسس والمبادىء الكفيلة باقامة مجتمع سياسى متطور ، ونشاط اقتصادى مزدهر ومتوازن.

فللفرد فى نظام الاسلام حق الحفاظ على حياته ، ومعتقده وعرضه ، وماله.. وللأسرة كيانها المتماسك الذى يحظى بكل احترام ، وللمرأة فيه كل التقدير ، بدء من حريتها المطلقة فى قبول الزوج ، ومرورا بأهليتها الكاملة خلال الزواج ، واحتراما لرغبتها الحقيقية فى طلب الانفصال عند وجود ما يدعو لذلك.

أما السياسة فى المجتمع الاسلامى فلها أهدافها المحددة : وأهمها على الاطلاق توفير العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع وتحقيق الأمن والاستقرار ، والحفاظ على تعاليم الدين من عبث العابثين فى الداخل ، وكيد أعدائه من الخارج. أما وسائل السياسة فأهمها الشورى ، التى تتضمن عموم المشاركة من الجميع.

وأما الاقتصاد فأساسه احترام الملكية الخاصة ، والعمل على ازدهار نشاط الأفراد ، وتشجيع المنافسة الشريفة من أجل صالح العام. وله ضوابط تتمثل فى تحريم الربا ، ومنع الاحتكار ،

ومحاربة الغش، فاذا أضيف الى ذلك ما تقدمه الزكاة والصدقة من موارد للمحتاجين والمنكوبين أدركنا أن النظام الاقتصادى فى الاسلام هو فى نفس الوقت نظام اجتماعى وأخلاقى من الطراز الأول.

تبقى اشارة سريعة الى عقوبات الجرائم فى الاسلام. وهى عقوبات رادعة لمن يستبيح ايذاء المسلمين فى أنفسهم ، أو أموالهم أو أعراضهم. ومما يلاحظ أن الاسلام قد اكتفى - فى هذا المجال - بتحديد العقوبات للجرائم الكبيرة ذات الأثر السىء فى بناء المجتمع الفاضل ، فى حين أنه ترك الجرائم الصغيرة للمسئولين يضعون لها العقوبات التى تناسب كل بيئة (وهو ما يطلق عليه اسم : التعزير).

والجرائم التى قدر القرآن الكريم عقوبتها خمس، وهى : القتل بنوعيه (العمد والخطأ) ، وقطع الطريق والافساد فى الأرض وايضا السرقة ، والزنا ، والقذف.

وهنا ملاحظتان على العقوبات الاسلامية. الأولى : تتعلق بضرورة التثبت الدقيق جدا من فاعلها ، وقصده الى ذلك ، مع عدم وجود أى شبهة تمنع تطبيق العقوبة عليه. فان الرسول ﷺ قال : "ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم"(١) أى : عند ظهور أى شبهة، لاتقيموا الحد.

---

(١) رواه ابن عدى والسمعانى.

وهذا يعنى من حيث الواقع تضييق دائرة هذه العقوبات ما أمكن٠

والملاحظة الثانية : ما قد يبدو من القسوة فى هذه الحدود٠ والواقع أن الاسلام يقدر العقوبة على قدر الجرم ، ومدى افساده فى استقرار المجتمع الصالح الذى يدعو لاقامته٠ ولو تأملنا جيدا تلك الجرائم السابقة لوجدناها تمثل اعتداء واضحا على حقوق المجتمع ، مع ما فى ذلك من استهانة بنظمه وقوانينه٠

وقد أثبتت التجارب أن تطبيق العقوبات الاسلامية على مرتكبى تلك الجرائم قد أثمر أفضل النتائج ، وكان وسيلة "رادعة" قللت بالفعل من نسبة الجريمة ، وحصرتها فى أضيق نطاق٠

وفى النهاية ، تجدر الاشارة الى أن الحديث عن الجرائم وعقوباتها لا يستغرق من التشريع الاسلامى الاجزءا ضئيلا جدا٠ أما الأجزاء الكبرى فهى التى تتجه الى اقامة مجموعة من النظم السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، تعتمد على مبادىء أخلاقية يتميز بها مجتمع المسلمين عن غيره٠

والأمر الملاحظ على التشريع الاسلامى أنه - مع احتوائه على عدد من الثوابت أى الأحكام المحددة فى القرآن والسنة - فانه يشتمل أيضا على عدد من المتغيرات التى تتيح الفرصة للمسلمين فى شتى العصور والبيئات أن يستنبطوا من الأحكام ما يناسب مصالحهم فى ضوء تلك الثوابت ، وهذا ما يمنح الشريعة الاسلامية قدرا كبيرا من المرونة التى تجعلها حية ، ومتطورة ، وصالحة بالفعل لكل زمان ومكان٠

وفى الختام ، لابد من التأكيد على أن الاسلام ، الذى استوعب كل تعاليم الأديان السماوية السابقة عليه ، لا يمثل مذهبا يتعالى على المذاهب الأخرى ، بل انه لا يسعى الى اقامة دولة تتصارع مع غيرها من الدول. وانما هو دين عالمى شامل ، جاء لخير البشرية كلها فى دنياها وآخرتها ، واتجه بدعوته الى البشر جميعا ، يقول الله تعالى مخاطبا محمدا ﷺ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١) ، ويقول أيضا ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢)

أ.د. حامد طاهر

(١) سورة سبأ ، الآية ٢٨.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧.


الادعاءات
والرد عليها

ادعاء أن مصدر القرآن بشرى ، وليس وحيا الهيا.

من الثابت تاريخيا أن محمدا ﷺ كان أميا لايقرأ ولا يكتب ، والقرآن كتاب على أعلى مستوى من البيان الأدبى ، وهو مختلف - تماما عما كان يعرفه العرب من شعر ونثر. القرآن معجزة لغوية وأدبية جديدة تماما وليس لها سوابق مشابهة ، وكونه يأتى على يد انسان أمى دليل على أنه ليس من عمله ، وانما هو وحى منزل.

يحتوى القرآن على نظام تشريعى متكامل يشمل العقيدة والشعائر والأخلاق ، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويهدف الى احداث توازن بين المادة والروح فى حياة الفرد ، والى اقامة علاقة مستقرة بين الفرد والمجتمع. ومثل هذا النظام التشريعى المتكامل والمتميز لايمكن أن يصدر من انسان فى بيئة عربية كالبيئة التى كان يعيش فيها محمد ﷺ.

يمتلىء القرآن بالاشارات الى حقائق علمية لم يتوصل اليها العلم الا فى العصر الحديث ، ويستحيل وجودها تماما فى البيئة البدوية التى نشأ فيها محمد ﷺ ، ومن أمثلة ذلك : الاشارة الى تطور الجنين فى بطن أمه ، وبصمة الانسان والاشارة الى حركات الأفلاك ، وأصل نشأة الكون ، والتفاعل المستمر بين الكائنات ، وحركة الشمس والقمر والرياح والأمطار والنبات.

يقول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ (١)

ويقول سبحانه ﴿ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٢) وأيضا ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٣). وكذلك قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (٤). وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ (٥). وقوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ (٦). وقوله تعالى ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾ (٧). وقوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (٨).

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيات ١٢ - ١٤ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ٢ .

(٣) سورة يس، الآية ٤٠ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٣٠ .

(٥) سورة الزمر ، الآية ٢١ .

(٦) سورة الحجر ، الآية ٢٢ .

(٧) سورة الرحمن ، الآية ١٩ - ٢٠

(٨) سورة الحديد ، الآية ٢٥ .

لقد جاء القرآن مكملا للكتب السماوية السابقة (التوراة والانجيل) ومصححا لما حدث لها من تحريف ، واذن فهناك عناصر متشابهة بين القرآن وهذه الكتب ، ولكن القرآن يزيد عليها فى أشياء كثيرة ، من ذلك مثلا ما أورده عن ولادة مريم وكفالة زكريا لها ، وكذلك نظام المواريث الذى جاء بصورة متكاملة لايكاد يوجد مثلها حتى الآن. وبالنسبة لتصحيح التحريفات، فان تصور القرآن لله تصور واضح يعقله الناس جميعا ، ويقوم على تنزيه الله عن صفات البشر (بينما ترد فى التوراه عبارات لاتليق بالذات الالهية كمصارعة الله لاسرائيل ، وغلبته على يديه! وتحتوى المسيحية على التثليث وبنوة عيسى لله تعالى).

وقد عرض القرآن الكريم لقصص الأنبياء السابقين ، وأحوال الأمم التى أرسلوا اليها ، والمصير الذى واجههم. وفى هذا الصدد يقرر الاسلام الكثير من المبادىء الأخلاقية ، والقوانين الاجتماعية التى ثبتت صحتها ، ومازالت صالحة حتى اليوم. من ذلك مثلا أن تغيير المجتمع انما يكون برغبة داخلية من أبنائه ، ثم تأتى بعد ذلك الظروف الخارجية التى تساعد على ذلك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١).

---

(١) سورة الرعد ، الآية ١١ .

وقد اشتمل القرآن كذلك على الاخبار ببعض الحوادث المستقبلية التى تحققت فيما بعد ، من مثل ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾(١)٠ وقد تحقق ذلك بالفعل٠ ومن مثل الاخبار بموت أبى لهب ، والوليد بن المغيره كافرين ، وقد حدث بالفعل : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾ (٢) ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ ﴾(٣)٠

ثم انه على الرغم من ضخامة حجم القرآن الكريم ، وطول الفترة الزمنية التى أنزل فيها على محمد ﷺ (ثلاثة وعشرين عاما) فان دراسته بعناية تثبت عدم التناقض بين جزئياته ، كما تؤكد الدقة البالغة فى اختيار ألفاظه وعباراته مما يدل بوضوح على أنه فوق طاقة البشر٠

والقرآن نفسه يتحدى العرب -وكانوا متفوقين فى البلاغة- أن يأتوا بمثله ، أو بمثل عشر سور منه ، أو حتى بسورة واحدة منه وكانت النتيجة أن أحدا لم يستطع الاتيان بعمل مشابه للقرآن الكريم منذ نزل وحتى اليوم ، وذلك على الرغم من وجود المعارضين الذين كان يسعدهم الاتيان بهذا الشبيه٠ ويعتبر استمرار التحدى بهذا الشكل من أهم البراهين على أن القرآن كتاب الهى ، وليس من صنع البشر٠

---

(١) سورة الروم ، الآية ٢ - ٣ ٠

(٢) سورة المسد ، الآيات ١ - ٣ ٠

(٣) سورة المدثر ، الآية ٢٦ - ٢٧ ٠

وتشير المصادر التاريخية الموثوق فيها أن محمدا ﷺ كانت تعتريه حالة خاصة جدا عند نزول الوحى عليه ، الى درجة أنه كان يتصبب عرقا ، ويشاهدها كل أصحابه ، ثم بعد ذلك يهدأ تماما، ويبدأ فى املاء مانزل عليه من القرآن على بعض أصحابه ، الذين عرفوا باسم "كتاب الوحى" وبلغ عددهم تسعة وعشرين. ومن الواضح أن القرآن متميز فى نظمه وأسلوبه عن حديث محمد ﷺ الذى كان يصدر منه شخصيا ، وكان يمنع أصحابه من كتابته حتى لا يختلط حديثه بالقرآن الذى هو كلام الله تعالى.

ان من أعظم ما اشتمل عليه القرآن : تخليص الوحدة الالهية من مظاهر الشرك والوثنية ، واعتبار الأنبياء كلهم حلقات فى سلسلة واحدة جاءت لهداية البشرية كلها ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (١). والتأكيد أخيرا على وحدة الانسانية وكرامة كل انسان على ظهر الأرض، مع رفض كل صور التمييز القائم على اللون ، والأصل ، والوضع الاجتماعى..الخ. وفى كل هذا دلالة على أن القرآن كتاب الهى أسمى من أن يؤلفه بشر ، وأعظم من أن تنتجه بيئة.

---

(١) سوره الشورى، الآية ١٣ .

الادعاء بعدم جمع القرآن في حياة الرسول ﷺ ، وأن الصحابة هم الذين تدخلوا فى كتابته وترتيبه ، وأن عثمان بن عفان أحرق النسخ المخالفة.

الثابت تاريخيا أن القرآن كله كان محفوظا عن ظهر قلب من عدد كبير من الصحابة فى عهد الرسول ﷺ ، وأنه راجعه معهم قبل وفاته ، وبعد أن راجعه على جبريل ، عليه السلام ، كاملا مرتبا فى رمضان الاخير مرتين.

أما كتابته ، فقد كان الرسول ﷺ يملى على بعض أصحابه المعروفين باسم "كتاب الوحى" ماينزل عليه عقب نزوله مباشرة. وكانوا يكتبون حينئذ على أى شىء يجدونه ميسورا لهم (مثل قطع الجلد ، أو سعف النخل ، أو عظام الابل).

وبعد وفاة الرسول ﷺ بعام ، قتل سبعون من حفظة القرآن فى معركة اليمامة ، ونتيجة لذلك عهد الخليفة أبو بكر الى زيد بن ثابت بتكوين لجنة مهمتها جمع وثائق القرآن التى كانت موجودة لدى كتاب الوحى. ومما اشترطه زيد بن ثابت عدم قبول أى آية الا اذا شهد شخصان على أنها مكتوبة باملاء الرسول ﷺ نفسه.

تجمعت هذه الوثائق كاملة عند أبى بكر ، الذى سلمها

عند وفاته الى عمر بن الخطاب ، وظلت عنده حتى سلمها الى ابنته حفصة ، أم المؤمنين ، عند وفاته ، لأنها كانت ملمة بالقراءة والكتابة.

وفي خلافة عثمان بن عفان ، كثر دخول غير العرب فى الاسلام ، وترتب على ذلك الاختلاف فى نطق القرآن ، فأمر عثمان بن عفان بتشكيل لجنة من زيد بن ثابت نفسه، لكتابة مصحف اعتمادا على النسخة التى كانت لدى السيدة حفصة. ونسخت اللجنة خمس نسخ أرسلت الى مكة ، والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ودمشق. وفى نفس الوقت راجعت اللجنة عملها على مايحفظه الحفاظ من القرآن الكريم بنفس نطقه في عهد الرسول ﷺ . وهذا هو المصحف المتداول بين المسلمين حتى وقتنا الحاضر ، ولدى جميع الفرق الاسلامية بدون استثناء.

ومن الثابت أن المسلمين قد حرصوا أشد الحرص على عدم تغيير أى كلمة أو حرف أو حتى حركة حرف فى مصحف عثمان. ويلاحظ أنه عندما تقوم بعض الجهات المعادية للاسلام بطبع مصحف يحتوى على أدنى تحريف يهب المسلمون جميعا لوقفه والتنبيه الى خطورته.

يعتمد بعض الباحثين الغربيين على أن الصحابى عبد الله بن مسعود اعترض على احراق مصحفه الخاص به. والواقع أن ابن مسعود هو الذى أحرق نسخته الخاصة بنفسه ، وانضم الى اجماع المسلمين على مصحف عثمان ، الذى تلقته الأمه الاسلامية كلها منذ ذلك الوقت وحتى الآن بالرضا والقبول الكاملين.

الادعاء بأن الرسول ﷺ كان يغير خطط حسب الظروف التى يوجد فيها ، فقدم الاسلام فى مكة على أنه دين عربى ، ثم لما انتصر فى المدينه جعله عالميا ·

الاسلام منذ نشأته الأولى يقرر فى صراحه ووضوح أنه دين عالمى، جاء للناس جميعا ، وأن محمدا ﷺ جاء بشيرا ونذيرا الى العالمين ·

فى اللحظة التى أمر فيها محمد ﷺ باعلان دعوته على الناس فى مكة ، صعد الى ربوة عالية وخطب فيهم قائلا : "انى رسول الله اليكم خاصة، والى الناس كافة" ·

والمتتبع لآيات القرآن يستطيع أن يتبين أن القرآن موجه للبشرية كلها · وهذه الصفة العالمية واضحة فى الآيات العديدة التى نزلت فى مكة ، قبل الهجرة الى المدينة ، ومنها فى سورة الفرقان التى نزلت بمكة ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١) ، وفى سورة الأنبياء المكية ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ·

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ١ ·

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ ·

وفى سورة ابراهيم المكية ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (١)٠

ويكفى أن السورة التى يفتتح بها المصحف ، وهى سورة الفاتحة تبدأ بقوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) ، وهى السورة التى نزلت فى مكة قبل الهجرة ، وقبل أن يكون للمسلمين دولة فى المدينة٠

ومما سبق يتضح أن تغيير الخطط ينبغى أن يفهم فى اطار التدرج فى التشريع٠ فقد كان من الطبيعى جدا أن يتصرف الرسول ﷺ فى العهد المكى ، وتحت ضغط المشركين ، بصورة تختلف عن العهد المدنى الذى تكونت فيه للمسلمين خصائص الدولة الجديدة٠ وحتى فى بداية هذه الدولة الصغيرة ، بعث الرسول ﷺ برسائل الى ملوك ورؤساء العالم حينئذ لدعوتهم الى الدخول فى الاسلام باعتباره الدين الذى جاء للبشرية كلها٠

---

(١) سورة ابراهيم ، الآية ٥٢

الادعاء بأن محمدا ﷺ كان رجلا شهوانيا والدليل كثرة عدد زوجاته.

هذه الدعوى ينقضها الرجوع الى التاريخ الموثق لحياة رسول ﷺ قبل البعثة وبعدها. أما الدليل فسوف نرد عليه التفصيل.

عاش محمد ﷺ طفولته وشبابه فى مكة ، ومن المعروف عنه فى تلك الفترة عدة خصال كان أهمها "الصدق" و "الأمانة" و"الاستقامة" ، فى الوقت الذى كان أمثاله من شباب مكة يقبلون على الملذات الحسية التى كانت شائعة لديهم ومنها شرب الخمر ، والنساء ، ولعب القمار. والثابت عنه أنه لم يقرب أى واحدة من هذه الآفات.

وعندما بلغ سن الخامسة والعشرين تزوج من السيدة خديجة وكان عمرها حينئذ أربعين سنة ، تزوجت قبله مرتين ، وقد أنجب منها معظم بناته وأبنائه ، وعاش معها وحدها حتى توفيت فحزن عليها كثيرا. وظل لفترة بدون زواج ، حتى عرض عليه أن يتزوج بأخرى ، فاعتذر بحاجة بناته الصغيرات الى الرعاية ، فاقترح عليه أن يتزوج سودة بنت زمعة ، أرملة أحد صحابته ، ولم يعرف عنها أنها كانت ذات جمال.

وبعد أن استقر محمد ﷺ فى المدينة ، وابتداء من سن (الرابعة والخمسين) بدأت مرحلة تعدد زوجاته لأسباب معروفة تماما وهى كلها بعيدة عن الجانب الجسدى أو الشهوانى المزعوم ، فبعضها يرجع الى عوامل سياسية اجتماعية انسانية (كانت ومازالت عادة معترفا بها فى البيئات البدوية التى يسودها النظام القبلى) ومن أمثلة هذه الزيجات زواجه من السيدة عائشة ابنة صاحبه الأقرب أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، والسيدة حفصة ابنة صاحبه الثانى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وواحدة من اليهود (السيدة صفية) وواحدة قبطية (السيدة مارية) من مصر ، وقد أسلمتا بعد زواجه منهما. وكان لهذا الزواج آثار حميدة فى تأليف القلوب ، وتوطيد العلاقات مع أسرهن وقبائلهن.

ومن العوامل التشريعية وراء بعض زيجات الرسول ﷺ زواجه من زينب بنت جحش ، التى كانت متزوجة من متبناه زيد بن حارثة (وكانت عادة العرب تقضى بعدم زواج والد المتبنى من زوجته بعد تطليقها) فجاء الأمر القرآنى للرسول ﷺ بالزواج من زينب لابطال هذه العادة. يقول الله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (١)

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧.

وأخيرا يأتى العامل الانسانى ، ويتمثل فى زواج الرسول ﷺ من بعض النساء اللاتى مات أو قتل أزواجهن ، ولم يكن لهن عائل. ومن المعروف أنه فى البيئة البدوية يكون من الصعب جدا حياة امرأة بمفردها دون عائل يرعاها. ومن الثابت أن بعض هؤلاء النساء كانت مسنة ، وغير مرغوب فى جمالها على الاطلاق ، مما يؤكد أن العامل الانسانى كان وراء زواج الرسول ﷺ منهن.

وهكذا يتبين أن هناك عدة مراحل فى حياة الرسول. أولها مرحلة ماقبل الزواج (حتى ٢٥ سنة) وقد كان فيها مثال الشاب المستقيم الملتزم والمبتعد تماما عن كل الشهوات الحسية ، ثم مرحلة الزوجة الواحدة التى استمرت مع خديجة (قرابة ٢٥ سنة) ، ثم مع سودة بنت زمعة ٤ سنوات ، وأخيرا تأتى المرحلة الثالثة (٥٤ حتى ٦٣) لتشهد هذا التعدد الذى اتضحت أسبابه السياسية والتشريعية ، والانسانية.

يضاف الى ذلك أن حياة الرسول فى بيته معروفة تماما ، وقد كشفت عنها زوجاته فى أدق تفاصيلها. وهى كلها تثبت أنه كان كثير العبادة ، يطيل التهجد بالليل ، وطوال النهار مهتما بتبليغ الوحى وتصريف أمور المسلمين ، ومتابعة انشاء الدولة الجديدة. ولا يخفى أن مثل هذه الاهتمامات لاتتفق مع انسان شهوانى كما ادعى عليه!!

ادعـاء أن المصـدر الثانـى للاسـلام (السـنة النبويـة) مـشكوك فيـه لأن بـه كثيـرا من الأحاديث المكذوبة والموضوعة.

مهمة الرسول ﷺ تتمثل أولا : فى تبليغ القرآن بكل دقة وأمانة ، تحقيقا لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (١). وثانيا : فى بيان وشرح القرآن. يقول الله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢).

وهذا يعنى أن السنة هى بالفعل المصدر الثانى للاسلام. ومما هو ثابت تاريخيا أن أصحاب الرسول ﷺ كانوا يحفظون عنه كل أقواله وأفعاله وتقريراته (٣) ، وعندما حاول بعضهم تدوينها كتابة فى حياته منعهم من ذلك فى أول الامر حتى لاتختلط بنص القرآن الكريم.

ونتيجة لذلك ، فقد التزم المسلمون من بعده بعدم كتابة السنة ، حتى بدأ بعض أعداء الاسلام يكيدون له بوضع وتزييف

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦٧.

(٢) سورة النحل ، الآية ٤٤.

(٣) التقريرات مفردها تقرير ، وهو هنا ما كان يحدث أمام الرسول ﷺ ولا يعترض عليه ، فيصبح بالتالى كأنه قال به.

أحاديث ينسبونها اليه ، وهنا وجه الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ) أنظار علماء المسلمين لكى يجمعوا السنة النبوية الصحيحة. فاتجهوا بكل اخلاص الى جمع السنة النبوية من كل شخص يحفظ شيئا منها. وقد كان للامام مالك دور هام فى هذا الصدد عندما ألف كتاب "الموطأ" ، وهو مجموعة احاديث مرتبة فقهيا.

ثم تلت ذلك عملية فحص دقيق لأحوال هؤلاء الأشخاص؛ وكذلك التدقيق الشديد فيما ينسبونه الى الرسول ﷺ متتبعين بكل تفصيل الطرق التى أخذوا عنها. وفى هذا الصدد أنشأ علماء المسلمين علمين من أهم العلوم التى تحفظ السنة النبوية من التزييف والتحريف، وهما : (علم الجرح والتعديل) الذى يبحث فيه عن أحوال الرواة ، وأمانتهم وعدالتهم ، وضبطهم ، أو ما يناقض ذلك من الكذب أو النسيان والغفلة. (وعلم مصطلح الحديث) الذى يحدد وصفا دقيقا لدرجة كل حديث من حيث الصحة والحسن والضعف والتزييف والوضع.. الخ.

وجاء القرن الثالث الهجرى فشهد أكبر حركة علمية فى تأليف الموسوعات التى تحتوى على سنة الرسول ﷺ الصحيحة، ومن أشهر من قام بهذا العمل البخارى (ت ٢٥٦ هـ) ومسلم (ت ٢٦١ هـ) وقد جمع كل منهما ما صح لديه فقط من أحاديث الرسول ﷺ من بين عشرات الآلاف من الأحاديث التى كانت موجودة حينئذ. يضاف الى ذلك ما قام به كل من ابن حنبل (ت ٢٤١ هـ)

وابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ) وأبى داوود (ت ٢٧٥ هـ) والترمذى (ت ٢٧٩ هـ) والنسائى (ت ٣٠٣ هـ)٠

وبهذا العمل الكبير الذى لايكاد يوجد له نظير فى أى ثقافة أخرى غير الثقافة الاسلامية ، أصبح مستقرا لدى المسلمين مدونة للسنة النبوية قام على أساسها "علم الفقه" الذى يبحث فى الأحكام التفصيلية للفرد والمجتمع٠

ومما ينبغى الاشارة اليه ما قام به بعض علماء المسلمين من تأليف كتب خاصة بالأحاديث الموضوعة أو المكذوبة ، حتى يتنبه لها المسلمون٠ وهكذا فليس عيبا أن يقال : هذا حديث ضعيف أو موضوع ، وانما العيب أن نعرف ذلك ونعمل به٠ ويعترف المسلمون جميعا بأنه متى ثبتت لديهم صحة حديث أصبح من الضرورى العمل بمضمونه ، تبعا لقوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (١) .

(١) سورة الحشر ، الآية ٧ ٠

الادعـاء بعـدم الأخـذ بالأحاديـث النبويـة ، ما دامت تتعارض فيما بينها٠

السنـة النبويـة تـبين القـرآن الكريـم ، وتـفسر معانيـه ، والرسـول ﷺ هـو خير من فـهم القـرآن ، وأيضـا خيـر مـن بينه للنـاس٠ وهنـا قاعـدة أساسيـة تقرر أن السنة الصحيـحة لاتتعارض أبدا مع القرآن٠

لـم يـثبت أبـدا أن الأحاديـث الصحيـحة تتعارض فيما بينها واذا حدث تعارض فانه يرجع اما الى :

١ - أنـه يـكون أحيانـا بيـن حديـث صحيح وآخـر غيـر صحيح فيعمل بالصحيح دون غير الصحيح٠

٢ - أو أنه يـكون بيـن حديـثين نـسخ ثانيهمـا حكم الأول ، مثل قـول الرسـول ﷺ "كنـت نـهيتكم عـن زيـارة القبـور ، ألا فزوروهـا"(١) وكذلـك عـدم الوضـوء ممـا مسـتـه النـار بعـد الأمر به(٢)٠

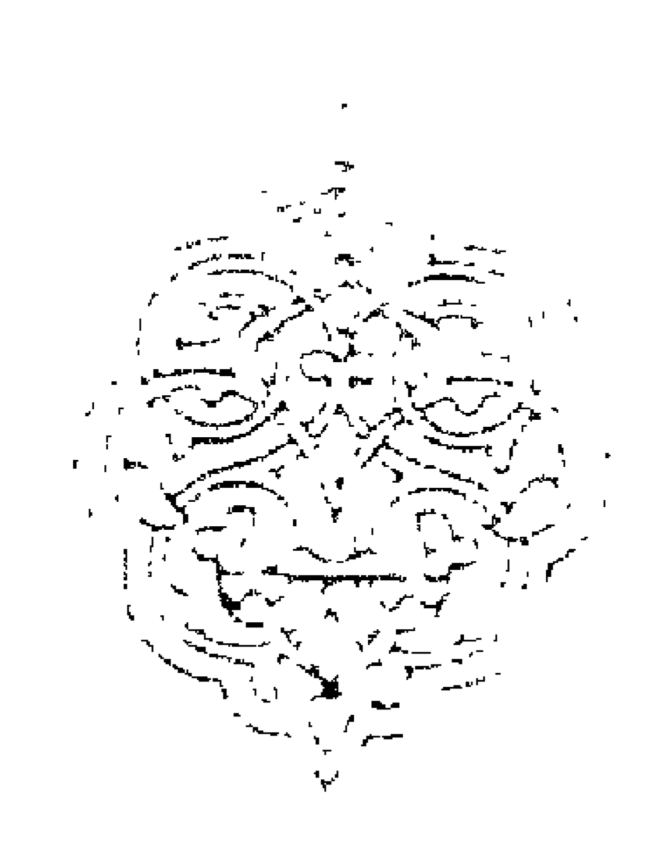
وأحيانـا يـكون التعارض ظاهريـا ، ولكنـه عنـد البـحث والتدقـيق فـى مـعنى الحديـثين ، والوقـوف عـلى ظـروف كل منهما يزول هذا التعارض٠

---

(١) رواه مسلم ٠

(٢) رواه مسلم ٠

وقـد قـام علمـاء المسـلمين ببيـان هـذه الحـالات بالتفصيـل فى مؤلفـات عديدة ، ومن ذلك كتاب الرسالة للامام الشافعى (ت ٢٠٤ هـ) وكتاب "تأويل مشكل الحديث " لابن قتيبه (ت ٢٦٧ هـ)٠



الادعاء بأن الاسلام انتشر بالسيف ، وسبقته دائما الجيوش المنتصرة٠

القرآن يقرر بكل صراحة أنه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (١) و ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ (٢) و ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ (٣) ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ (٤) ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (٥)

وبالنسبة للتطبيق العملى لهذا المنهج ، يلاحظ أن المسلمين قد التزموا به الى أبعد حد ممكن٠ ومن الأدلة على ذلك مايلى :

- فى بداية نشأة الاسلام ، آمن بمحمد ﷺ عدد من الفقراء والضعفاء٠ وقد اقترفت ضدهم شتى أنواع التعذيب الجسدى ليرجعوا عنه ، ولكنهم تمسكوا به ، واضطر بعضهم الى الهجرة بدينه الى الحبشة أولا ، ثم الى المدينة بعد ذلك٠ فأين السيف فى هذه المرحلة ؟!

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ ٠

(٢) سورة الكهف ، الآية ٢٩ ٠

(٣) سورة الغاشية ، الآية ٢١ ، ٢٢ ٠

(٤) سورة الشورى ، الآية ، ٤٨ ٠

(٥) سورة النحل ، الآية ١٢٥ ٠

- من بين المسلمين الأوائل عدد من الشخصيات الكبيرة والقوية التى لم يكن يتصور أن يجبرها أحد على الدخول فى الاسلام (من أمثال : أبى بكر ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة ، والزبير وسعد بن أبى وقاص، وحمزة ، ومصعب ، وعبد الرحمن بن عوف) رضوان الله عليهم.

عندما انتقل المسلمون الى المدينة وجدوا البيئة المناسبة لتكوين دولة مالبثت أن تعرضت لاعتداءات من الخارج والداخل مما اضطر المسلمين للدفاع عن أنفسهم ، فشرع لهم القتال لرد الظلم عنهم. تقول الآية ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (١)

وحين خرج المسلمون من الجزيرة العربية ليبلغوا الاسلام الى الشعوب المجاورة وجدوها تعاني من اضطهاد قوى كبرى، فكان عليهم أن يدخلوا مع هذه القوى فى حروب. أما عندما كانوا ينتصرون فانهم كانوا يطبقون منهج الاسلام فى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. ولم يحدث أنهم أجبروا أحدا على الدخول فى الاسلام. والدليل على ذلك أن بعض أقباط مصر ظلوا على دينهم حتى اليوم ، ولم يجبرهم المسلمون ذات يوم على تركه. وكذلك عاش اليهود فى المجتمعات الاسلامية دون أن يجبرهم أحد على الاسلام.

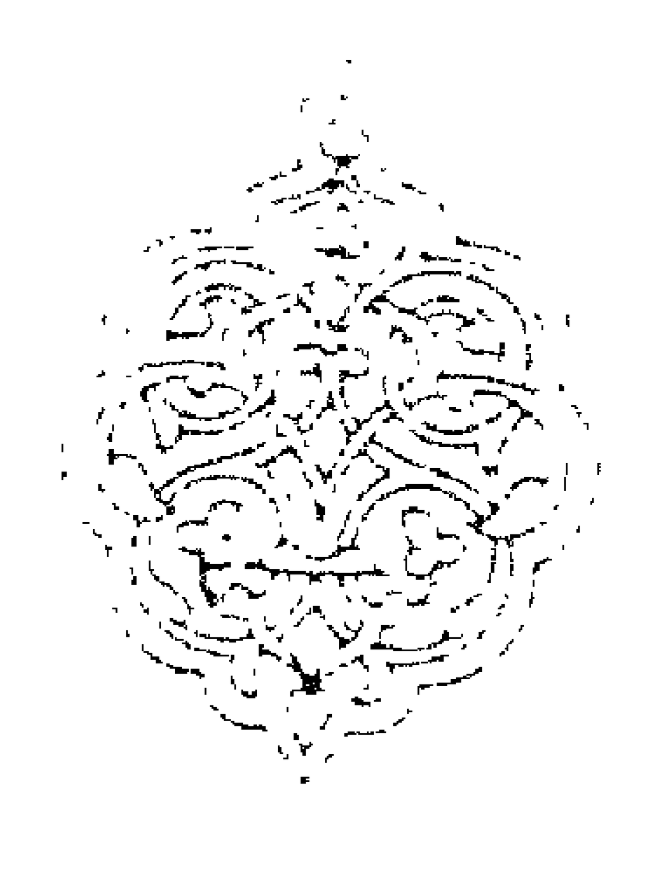
---

(١) سورة الحج ، الآية ٣٩ .

وبعد هذا فان البلاد التى لم تدخلها جيوش المسلمين - ومع ذلك دخلت فى الاسلام - كثيرة جدا ، كما فى جنوب آسيا وشرق ووسط افريقيا (اندونسيا مثلا ١٨٠ مليون مسلم رغم أنه لم يصل اليها اى جيش مسلم).

ومما يدحض دعوى انتشار الاسلام بالسيف ، أن المسلمين قد مروا بعد انتصاراتهم بفترات ضعف ، ومع ذلك فقد استمر المسلمون على اسلامهم ، وفى هذا أكبر دليل على أنهم اعتنقوه وتمسكوا به بمحض اختيارهم.

وأخيرا فان الاسلام مازال ينتشر حتى اليوم فى كل قارات العالم ، ومنها أوربا وأمريكا ، دون أن يكون هناك أى اجبار لانتشاره ، بل ان وسائل المسلمين فى الوقت الحاضر ضعيفة كما هو واضح.



الادعاء بأن الفتوحات الاسلامية ليست فى حقيقتها الا توسعات استعمارية ذات طابع اقتصادى (للحصول على الغنائم وفرص الجزية).

ينبغى التفريق الحاسم بين مبادىء الاسلام وبين تصرفات بعض المسلمين التى لاتتفق مع هذه المبادىء. فالاسلام يقرر بصراحة أنه دين رحمة جاء لهداية البشر جميعا واخراجهم من عبودية الأصنام والأشخاص الى توحيد الله تعالى ، وهو لم يدع أتباعه -قط- الى الحرب الا اذا اضطروا اليها دفاعا عن النفس.

الفتوحات الاسلامية لم تكن استعمارية لنهب خيرات الشعوب ، وانما كانت لتبليغ الدعوة الاسلامية الى هذه الشعوب. والحروب التى خاضها المسلمون كانت مع الجيوش التى كانت تعوق وصول الدعوة للناس.

الاستعمار الحديث له آثار سيئة على البلاد التى دخلها. أما فتوحات المسلمين فقد كانت تنقل البلاد من حالة التخلف الى حالة من الازدهار والحضارة ، والدليل على ذلك ما حدث فى اسبانيا والبرتغال ، التى تحولت بعد الفتح الاسلامى الى مركز حضارى مزدهر ، كانت له آثاره الايجابية على أوربا كلها.

يشاع خطأ أن الجهاد الاسلامى يهدف الى الحصول على الغنائم، مع أن الاسلام يعد ذلك جريمة٠ فقد سئل الرسول ﷺ عن رجل يريد الجهاد ، وهو يبتغى عرضا من الدنيا ، فقال : لا أجر له (ثلاث مرات)(١)٠ وروى عن عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ) أنه قال : ان الله بعث محمدا هاديا ، ولم يبعثه جابيا٠

أما بالنسبة الى الجزية فهى عباره عن ضريبة بسيطة جدا يدفعها غير المسلمين من أهل البلاد المفتوحة فى مقابل حمايتهم والدفاع عنهم ، لعدم اشتراكهم فى الجيش٠ وفى حالة اشتراك أحدهم تسقط عنه الجزية٠ ويلاحظ أن الجزية لم تكن مفروضة الا على القادرين على القتال ، ويعفى منها : الشيوخ الكبار السن والنساء ، والأطفال ، وعلماء الأديان الأخرى٠

ومما يؤكد نزاهة المسلمين الأوائل أن كثيرا منهم كانوا أغنياء قبل دخولهم الاسلام ، ومع ذلك وبعد تحقق الفتوحات فى عهودهم ، فقد كانوا زاهدين فى الدنيا ، يعيشون حياة بسيطة للغاية ، أبعد ماتكون عن الترف ، أو الملذات المادية٠

---

(١) سنن ابو داود ٠

الادعاء بأن المسلمين كانوا شعوبا لاتحترم الحضارات القديمة ، ومن ذلك احراق مكتبة الاسكندرية٠

ليس صحيحا على الاطلاق أن المسلمين لم يحترموا الحضارات القديمة ، فقد ثبتت استفادتهم من كل العناصر الايجابية فى هذه الحضارات٠ ومن ذلك ما قاموا به من ترجمة للمؤلفات اليونانية ، والفارسية ، والهندية وغيرها ، ايمانا منهم بوحدة التراث الانسانى٠ وقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال : "الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها أخذها"(١) ومن المأثور لدى المسلمين "اطلبوا العلم ولو فى الصين" أى ولو فى مكان بعيد للغاية ، ولدى قوم لايدينون بالاسلام٠

ويعبر الفليسوف المسلم ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) عن الموقف الاسلامى ازاء الحضارات القديمة بقوله : "ان الشرع يوجب الاطلاع على كتب القدماء مادام الهدف الذى يقصدون اليه هو ذات المقصد الذى حثنا عليه الشرع٠ ننظر فى الذى قالوه فى ذلك ، وما أثبتوه فى كتبهم ، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم ، وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه ، وعذرناهم"٠

---

(١) سنن الترمذى ٠

ويلاحظ أن ادعاء احراق المسلمين لمكتبة الاسكندرية لم يظهر الا فى القرن الثالث عشر الميلادى ، فى جو الحروب الصليبية المعادية للاسلام والمسلمين ، وبالتالى فهى مجرد دعاية من دعايات الحرب المعنوية ، لأنه من الثابت تاريخيا أن هذه المكتبة أحرقت قبل الاسلام بقرون على أيدى الرومان.

ثم كيف يتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه باحراق مكتبة الاسكندرية وهو الذى حافظ على أديرة المسيحين فى الشام وبيت المقدس. وكانت هذه الأديرة تمتلىء بالمؤلفات اليونانية المترجمة الى السريانية. وهى التى استفاد منها المسلمون فى العصر العباسى وما بعده.

لقد بينت المستشرقة الألمانية زيجريد.هونكه فى كتابها (الله مختلف تماما) أن العرب عندما دخلوا الاسكندرية عام ٦٤٢م لم تكن هناك مكتبة فى الاسكندرية ، فقد تم احراقها قبل ذلك بقرون ، كما بينت أن المكتبة القديمة الملحقة بالأكاديمية التى أسسها فى الاسكندرية الملك بطليموس الأول (سوتر) حوالى عام ٣٠٠ ق.م قد أحرقت عام ٤٧ ق.م عندما حاصر يوليوس قيصر المدينة. وقد أعادت كليوباترا تشييد المكتبة وزودتها بكتب من برجامون.

شهد القرن الثالث الميلادى بداية التدمير المنظم للمكتبة. فقد عطل القيصر كاراكالا الأكاديمية. وقام المتحمسون الدينيون بتدمير المكتبة عام ٢٧٢م بوصفها عملا وثنيا. وفى عام ٣٩١م

ستصدر البطريرك تيوفيلوس من القيصر تيودوسيوس اذنا بالموافقة على تدمير الأكاديمية الباقية ، واحراق ما تبقى من المكتبة الملحقة بها ، والتى كانت تحوى ثلاثمائة ألف لفافة من الكتب ، وذلك بهدف اقامة كنيسة ودير بدلا منها. واستمر التدمير فى القرن الخامس عن طريق الاغارة على العلماء الوثنيين وعلى أماكن عبادتهم والقيام بتدمير مكتبتهم ، وبهذا يتضح أن المسلمين بريئون من كل ذلك تماما.

وأخيرا كيف يقال ان المسلمين يعادون الكتب والمكتبات فى الوقت الذى مازالت مؤلفاتهم العلمية والأدبية ، فى صورة مخطوطات مكتوبة باليد ، تملأ مكتبات العالم حتى ذلك الوقت.

الادعاء بأن بعض الأديان تقرر علاقة الانسان الحميمة بالله ، بينما الاسلام يؤكد مذلة الانسان (العبد) لله (الرب).

لقد خلق الله الانسان وجعله خليفة في الأرض، وسخر له الكون كله بسمائه وأرضه وما بينهما ، وطلب منه عمارة الأرض. وذلك يدل على أن الله أراد للانسان أن يكون سيدا في هذا الكون، ولكنه في الوقت نفسه مخلوق لله فلا يجوز له أن ينسى هذه الحقيقة. وبهذا المعنى فهو عبد لله. ولكن ليس معنى ذلك عبودية المذلة والاحتقار. فقد أعطى الله له الحرية كاملة لقبول طاعة الله أو عصيانه ، وللايمان أو الكفر به : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (١). والحرية على النقيض تماما من العبودية. فالانسان دائما في موقف الاختيار ولذلك فهو مسئول عما يفعل : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ (٢).

لقد كرم الله الانسان ، وفضله على كثير من خلقه - كما أخبر القرآن الكريم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾(٣). وهذه الكرامة التي منحها الله للانسان مناقضة تماما للمذله والاحتقار.

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٤٦ .

(٣) سورة الأسراء ، الآية ٧٠ .

وعندما خلق الله الانسان نفخ فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (١) وفى هذه النفخة الروحية الالهية تكمن العلاقة الحميمة بين الله والانسان. فكل فرد من أفرادالانسان يحمل فى داخله شيئا من هذه النفخة الالهية التى تشعر الانسان بأن الله معه فى كل زمان وفى كل مكان : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٢)

يبين لنا القرآن الكريم أن الله أقرب الى الانسان من حبل الوريد ، وأنه قريب يجيب دعوة من يدعوه ، وأنه رحيم بعباده ، فهو أرحم الراحمين ، وقد وسعت رحمته كل شىء. يقول الرسول ﷺ : ان الله جعل الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه !(٣)

وباستقراء صفات الله فى القرآن نجد أن صفات الرحمة تزيد عن (٣٦٥) آية ، فى حين أن صفات العذاب ترد فى (٢٦٠) آية أى بفارق أكثر من مائة آية.

ولهذا كله دلالة عميقة على طبيعة الصلة الحميمة بين الله والانسان ، فهى صلة القرب والرحمة والاستجابة. فالله أرحم بخلقه من الأم على ولدها. وهذا ما يشعر به كل مسلم فى أعماق نفسه.

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة الحديد ، الآية ٤ .

(٣) رواه مسلم .

الادعاء بأن الاسلام دين لايسمح باعمال العقل ويخضعه للنصوص الدينية·

لعل الاسلام هو الدين الوحيد الذى أعلى من شأن العقل الانسانى ، ورفع من مكانته· فالعقل هو مناط التكليف والمسئولية وبه يعرف الانسان خالقه ويدرك أسرار الخلق وعظمة الخالق· والقرآن فى خطابه للانسان يخاطب عقله ، ويحثه على النظر فى الكون ، والتأمل فيه ، ودراسته من أجل خير البشرية وعمارة الأرض ماديا ومعنويا· وليس فى الاسلام شىء يناقض العقل أو يصادم الفكر السليم أو يتعارض مع حقائق العلم·

لقد طلب الاسلام من الانسان ضرورة استخدام عقله ، وعاب على الذين يعطلون قواهم الادراكية وعلى رأسها العقل من أداء وظائفها· ولذلك يعتبر القرآن هؤلاء ، اناسا قد تخلوا عن انسانيتهم فيقول : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (١) كما جعل القرآن عدم استخدام العقل ذنبا من الذنوب· ولذلك يقول عن الكفار يوم القيامة : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ ﴾ (٢)·

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٩ ·

(٢) سورة الملك ، الآية ١٠ ·

يلفت الاسلام نظر الانسان الى أن الله قد سخر له هذا الكون كله ، وأن واجبه أن يستخدم عقله في توظيف كل شيء من أجل خير الانسان وعمارة الارض : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (١) ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)٠

فالكون كله اذن مجال للعقل الانسانى يصول ويجول دون حجر على عقل أو مصادرة لفكر ، طالما كان ذلك من أجل خير الانسان٠ فكل ما ينفع الناس يشجع الاسلام عليه٠

النصوص الدينية فى الاسلام ملزمة للمسلم فيما يتصل بالأصول والتشريعات الدينية٠ ولكن المسلم له حرية الاجتهاد فى أمور الدنيا٠ وهذا ما أشار اليه النبى ﷺ فى قوله : "أنتم أعلم بأمور دنياكم"٠(٣) فمساحة حرية الفكر والبحث العلمى فى الاسلام مساحة واسعة ومكفولة للمسلم٠ فقد أمر الرسول ﷺ بأن يسأل ربه زيادة العلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٤) ، وأفاض القرآن فى مزايا العلم والعلماء ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (٥) وبالتالى حذر من الجهل ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦)٠

---

(١) سورة هود ، الآية ٦١ ٠

(٢) سورة الجاثية ، الآية ١٣ ٠

(٣) رواه مسلم ٠

(٤) سورة طه ، الآية ١١٤ ٠

(٥) سورة المجادلة ، الآية ١١ ٠

(٦) سورة الزمر ، الآية ٩ ٠

وقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال : "طلب العلم فريضة على كل مسلم"(١) وقال : "من سلك طريقا الى العلم سلك الله به طريقا الى الجنة"(٢) وبين قيمته وأثره حتى بعد الموت فقال : "اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له"(٣).

---

(١) سنن ابن ماجة .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

الادعاء بأن الاسلام يدعو أتباعه الى التواكل وعدم الأخذ بالأسباب٠

من يتأمل فى القرآن الكريم يتأكد عن يقين أن الاسلام دين يحث على العمل ويدفع الانسان دفعا اليه٠ فالعمل هو الحياة٠ وبدون العمل تتوقف الحياة٠ ومن هنا يربط القرآن فى كثير من آياته بين الايمان والعمل الصالح ، الذى يشمل كل عمل يؤديه الانسان دينيا كان هذا العمل أم دنيويا طالما قصد به وجه الله ونفع الناس ودفع الأذى عنهم٠ والأمر بالعمل فى القرآن واضح لاغموض فيه : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١)٠ بل ان القرآن يحث المسلمين على العمل حتى فى يوم الجمعة الذى يعد يوم راحة لدى المسلمين٠ يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢)٠

ويحث النبى ﷺ على العمل حتى فى آخر لحظة فى حياة الانسان ونهاية العالم٠ ومن هنا كان قوله : "اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة (أى شجيرة صغيرة) فاذا استطاع ألا يقوم حتي يغرسها فليفعل"(٣)٠

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٥ ٠

(٢) سورة الجمعة ، الآية ١٠ ٠

(٣) مسند ابن حنبل ٠

وقد رفض النبى انقطاع بعض الناس للعبادة فى المسجد واعتمادهم على غيرهم فى الحصول على طعامهم وشرابهم. وامتدح من يعمل ويأكل من كسب يده ، وأثنى على اليد العاملة بأنها يد يحبها الله ورسوله.

كان النبى ﷺ ، وهو قدوة المسلمين جميعا بنص القرآن يعمل ويخطط ، ويتدبر الأمور ، ويعد لكل شىء عدته ، ويأخذ بالأسباب ثم يتوكل على الله. والتوكل على الله لايعنى ترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب ، وانما هو خطوة تالية بعد اعداد كل شىء. ومن شأن هذا التوكل أن يذكر الانسان بالله ويزوده بطاقة روحية تجعله أكثر قدرة على التغلب على الصعاب ومواجهة المشكلات بعزيمة لاتلين. فالتوكل على الله اذن قوة ايجابية دافعة وليست سلبية أو تواكلا.

التواكل يعنى عدم الأخذ بالاسباب ، وعدم العمل اعتمادا على أن الله سيفعل كل شىء حسبما يريد. وهذا أمر مرفوض فى الاسلام. فالله لايعين انسانا لايساعد نفسه ، ولكنه مع من يعمل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١).

وقد طرد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض المتواكلين المنقطعين للعبادة فى المسجد اعتمادا على أن غيرهم يرعاهم ويقوم

(١) سورة الرعد ، الآية ١١ .

بأمرهم وقال كلمته المشهورة : "ان السماء لاتمطر ذهبا ولافضة" واستشهد بحديث الرسول ﷺ الذى يقول : "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"(١) أى اعملوا واعتبروا بالطير التى تخرج فى الصباح سعيا وراء قوتها وبطونها خاوية ، وتعود آخر اليوم وقد امتلأت بطونها٠

---

(١) رواه الترمذى ٠

الادعاء بتدنى مكانة المرأة فى الاسلام وهضم حقوقها.

عندما جاء الاسلام كانت الأوضاع التى تعيش المرأة فى ظلها سيئة للغاية ، فلم يكن لها حقوق تحترم أو رأى يسمع ، فانتشلها الاسلام من هذه الأوضاع السيئة ، وأعلى مكانتها ، ورفع عنها الكثير من الظلم الذى كانت تتعرض له ، وجعلها تشعر بكيانها كانسان مثل الرجل سواء بسواء، وضمن لها حقوقها المشروعة ، وأسقط عنها تهمة اغواء آدم فى الجنة بوصفها أصل الشر فى العالم. وبين أن الشيطان هو الذى أغوى آدم وحواء معا كما يقول القرآن ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾(١).

يقرر الاسلام أن الناس جميعا رجالا ونساء قد خلقوا من نفس واحدة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾(٢).
فالرجل والمرأة متساويان تماما فى الاعتبار الانسانى ، وليس لأى منهما ميزة على الآخر فى هذا الصدد. والكرامة التى منحها الله للانسان فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(٣) هى كرامة للرجل والمرأة على السواء.

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٦ .

(٢) سورة النساء ، الآية الاولى .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٧٠ .

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن الانسان أو بنى آدم فانه يقصد الرجل والمرأة معا. أما اذا اراد أن يتحدث عن أى منهما وحده فانه يستخدم مصطلح "الرجال" ومصطلح "النساء".

وصف نبى الاسلام ﷺ العلاقة بين الرجل والمرأة بقوله: "النساء شقائق الرجال لهن مثل الذى عليهن بالمعروف"(١). والوصف بكلمة شقائق يوضح لنا المساواة والندية. والرجال والنساء أمام الله سواء لافرق بينهما الا فى العمل الصالح الذى يقدمه كل منهما. كما يشير الى ذلك القرآن الكريم: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢). والله سبحانه يستجيب لدعاء الرجل والمرأة على السواء: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾(٣). والتعبير القرآنى: "بعضكم من بعض" يدل على أن كلا منهما مكمل للآخر وأن الحياة لايمكن أن تستقر دون مشاركتهما معا.

دعا الاسلام المرأة الى التعليم، بل وفرضه عليها بقول الرسول ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه"(٤) كما كفل لها حق العمل، ولا يوجد نص واحد فى الاسلام يحرمها منه. وقد عملت النساء المسلمات فى مختلف مجالات العمل.

---

(١) سنن الترمذى.

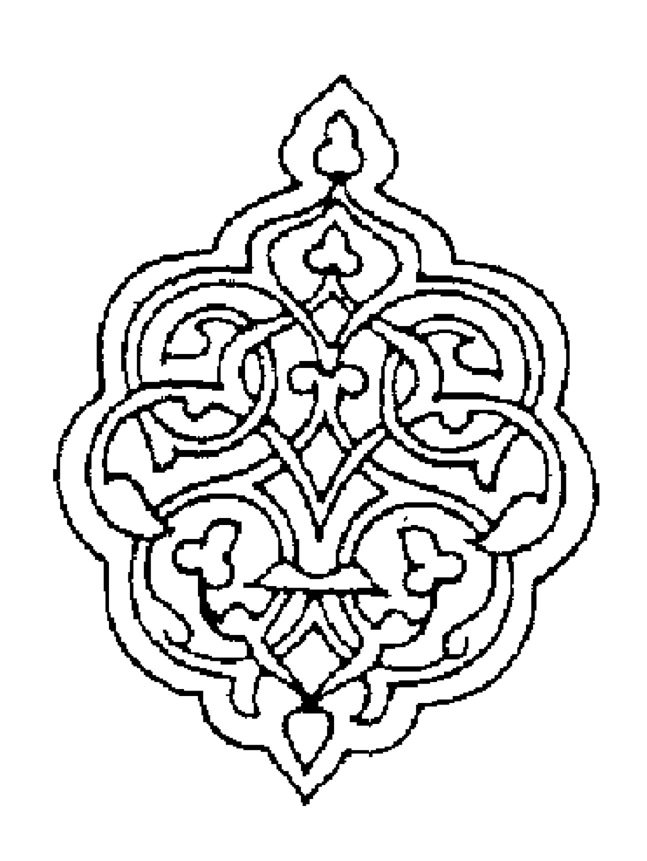
(٢) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

(٤) سنن ابن ماجه.

ومما يدل على ذلك أن الاسلام حفظ للمرأة ذمة مالية مستقلة عن ذمة الرجل· ومما يلاحظ أن الاسلام لا يفرق بين أجر المرأة وأجر الرجل فى العمل·

هل بعد هذا الموقف المبدئى للاسلام من المرأة من خلال النصوص القاطعة من مصدرى الاسلام : (القرآن والسنة) يستطيع انسان منصف أنْ يتهم الاسلام باضطهاد المرأة وهضم حقوقها ؟ ان الأمر فى واقع الأمر يشتمل على خلط ظالم بين الاسلام كدين له تعاليمه السمحة من ناحية وبين سلوك سىء لبعض المسلمين ازاء المرأة من ناحية أخرى· والحكم الموضوعى على الاسلام ومواقفه ينبغى أن يفرق بين الأمرين· فالوضع المتدنى للمرأة فى بعض المجتمعات الاسلامية لايرجع الى تعاليم الاسلام ، وانما يرجع الى تجاهلها ، أو الجهل بها·



الادعاء بأن المرأة فى الاسلام تابعة دائما للرجل٠

لقد أعطى الاسلام للمرأة استقلالها التام عن الرجل فى الناحية الاقتصادية٠ فلها مطلق الحرية فى التصرف فيما تملك بالبيع والشراء والهبة والاستثمار٠٠الخ دون اذن من الرجل ما دامت لها أهلية التصرف٠ وليس لزوجها ولا لغيره من أقاربها من الرجال أن يأخذ من مالها شيئا الا باذنها٠

لايجوز للرجل - حتى ولو كان الأب - أن يجبر ابنته على الزواج من رجل لاتوافق عليه٠ فالزواج لابد أن يكون بموافقتها وبرضاها٠ وقد جاءت فتاة الى النبى ﷺ تشكو من أن أباها زوجها من ابن أخ له ليرفع بذلك من مكانته وهى له كارهة٠ فاستدعى النبى الأب ، وجعل للفتاة حرية الاختيار فى رفض هذا الزواج أو قبوله٠ فقررت بمحض ارادتها قبول هذا الزواج وقالت : "يارسول الله قد أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن أعلم النساء أنه ليس للآباء من الأمر شيء"(١)٠ أى ليس للآباء سلطة اكراه بناتهم على الزواج٠

المرأة شريكة للرجل فى الأسرة وفى تربية الأطفال٠ ولا يعقل أن تستقيم حياة أسرة دون مشاركة ايجابية من الطرفين ، والا

---

(١) سنن أبى داود ٠

اختلت موازين الأسرة وانعكس أثر ذلك سلبا على الأطفال· وقد حمل النبى ﷺ كلا من الرجل والمرأة هذه المسئولية المشتركة عندما قال : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته· فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ، وهى مسئولة عن رعيتها·"(١)·

واسناد المسئولية هنا للمرأة ينفى تماما تهمة تبعية المرأة الدائمة للرجل ، فليست هناك مسئولية دون حرية· والحرية لا تتفق مع التبعية·

لايجوز للرجل أن يمنع المرأة من حقوقها المشروعة فى الحياة ، ولا يجوز له أن يمنعها من التردد على المسجد للعبادة· وقد ورد عن النبى ﷺ فى ذلك قوله : "لاتمنعوا اماء الله مساجد الله"(٢)· واذا كان بعض المسلمين استنادا الى تقاليد بالية وأعراف باطلة لايلتزم بهذه المواقف الاسلامية نحو المرأة فان ذلك يعد جهلا بالاسلام وأحكامه أو سوء فهم لتعاليمة الواضحة·

ومما يدل على عدم التبعية أن المرأة المسلمة اذا تزوجت تظل محتفظة باسمها بعد الزواج ، ولا تأخذ اسم زوجها ، كما يحدث فى الغرب·

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن حنبل ·

(٢) رواه مسلم ·

الادعاء بأن الاسلام يظلم المرأة باعطائها نصف ميراث الرجل.

هذه جزئية يساء فهمها. فنظام الميراث فى الاسلام نظام متكامل ينبغى أن ينظر اليه من جميع جوانبه. فالحالات التى تأخذ فيها المرأة نصف ميراث الرجل أربع حالات فقط ، بينما توجد (عشرون) حالة أخرى يكون وضع المرأة فيها كالتالى :

١ - تساوى الرجل فى بعضها.
٢ - تأخذ أكثر من الرجل فى بعضهاالآخر.
٣ - ترث هى أحيانا ولايرث نظيرها من الرجال.

يرتبط نظام الميراث فى الاسلام بنظام الاسرة ككل. فالرجل هو المسئول الأول عن الانفاق على زوجته وأولاده. وليس على المرأة المتزوجة ذلك. واذن فأعباء الرجل تزيد عن أعباء المرأة.

اذا وجدت حالات خاصة تحتاج فيها المرأة الى نصيب مالى اضافى، فان ذلك يمكن أن يتم فى حياة المورث عن طريق البيع أو الهبة.

واحساسا بعدالة نظام الميراث الاسلامى ، يلجأ كثير من الأقباط فى مصر الى الاحتكام اليه عن طريق دار الافتاء المصرية لحل المنازعات والقضاء على أسباب الخلاف بين الورثة.

لماذا يجعل الاسلام شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل واحد٠

هذه حالة واحدة فقط من حالات الشهادة٠ لكن هناك حالات أخرى تتساوى فيها شهادة المرأة بالرجل ، بل ان شهادتها وحدها تكون كافية فى المشكلات الخاصة بالنساء ، حيث لاتجوز شهادة الرجل٠

ولا يعنى هذا الحكم الخاص فى حالة واحدة أن قيمة المرأة أقل من الرجل ، فالمقصود الأساسى هو التثبت فى الشهادة بدليل أن بعض الجرائم يشترط فيها الاسلام شهادة أربعة رجال٠ وهذا بالطبع للتثبت ، وليس لتدنى قيمة أى منهم٠ يقول الله تعالى ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡ ﴾ (١) ٠ ويقول ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ ﴾ (٢)٠

ولا يخفى على الكثير ما أقره العلم من أن المرأة فى أيام معينة من الشهر لاتكون فى حالتها الطبيعية نفسيا وذهنيا٠

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٥ ٠

(٢) سورة النور ، الآيه ٤ ٠

الادعاء بأن الاسلام لايبيح للمرأة تولى مناصب عليا فى الدولة٠

الاسلام لايمنع المرأة من تولى مناصب هامة فى الدولة مادامت مؤهلة لذلك٠ فلا يتضمن القرآن الكريم آية واحدة تحرم ذلك٠ بل انه أشار الى ملكة سبأ ، التى كانت تتولى أعلى منصب فى الدولة٠

وبالنسبة للحديث الذى روى عن الرسول ﷺ : "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"(١) فان له مناسبة خاصة٠ فعندما بلغ الرسول ﷺ أن الفرس ملكوا عليهم "بنت كسرى" قال هذا الحديث٠ ويبدو بوضوح أنه قيل فى اطار تقوية الروح المعنوية للمسلمين ، وكان يقصد به أناسا بعينهم٠

ومن الثابت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى ولاية الحسبة (وهى الاشراف على السوق التجارى فى المدينة) للشفاء بنت عبد الله المخزومية٠ ومن المعروف أن هذه الوظيفة من الوظائف الدينية والمدنية التى تتطلب الخبرة والصرامة٠

---

(١) رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن حنبل ٠

واذا كانت بعض المجتمعات الاسلامية تعامل المرأة بصورة أخرى ، فان هذا يرجع الى الأعراف والتقاليد السائدة فى تلك المجتمعات ، وليس الى تعاليم الاسلام٠

ومع التطور الذى بدأ يظهر فى البلاد الاسلامية ، أصبحنا نرى المرأة تتولى رئاسة مجلس الوزراء (كما فى باكستان وبنجلاديش وتركيا) وهى تتولى منذ فترة منصب الوزيرة والسفيرة (كما هو الحال فى مصر)٠

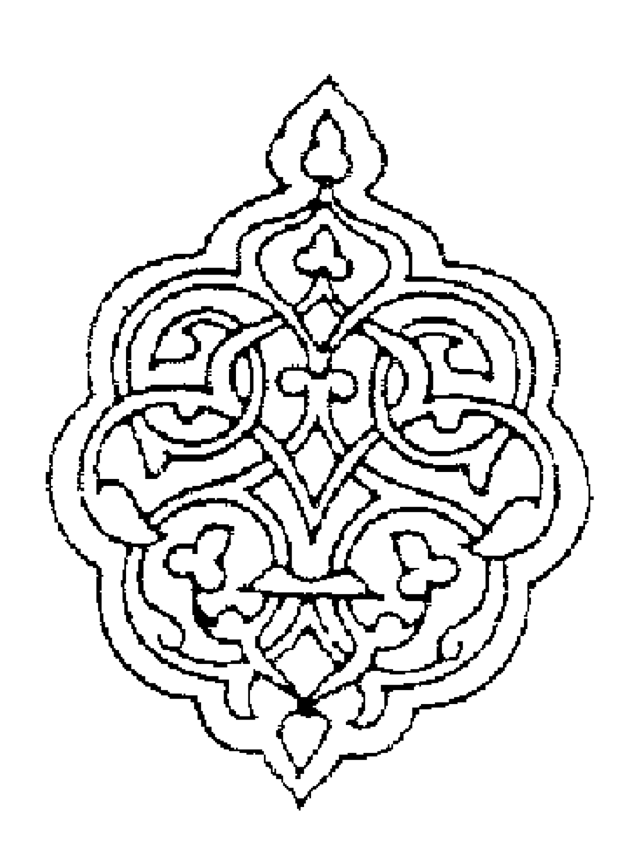
الادعاء بأن الاسلام يفرض على المرأة الحجاب الذى يمنعها من التعليم والعمل .

كرم الاسلام الرجل والمرأة على السواء. ومن مظاهر تكريم المرأة أن تستر جسدها حتى لاتتعرض لايذاء المرضى والشواذ من الرجال. ومع ذلك فان الاسلام قد راعى فى الحجاب ألا يحجب مايدل على شخصية المرأة ، وهو وجهها ، أو يعرقل حركتها (الكفان). والحجاب لا يمنع المرأة المسلمة من أن تكون متأنقة مادام ذلك فى حدود الأدب وألا تكون مثارا للفتنة.

والحجاب كما هو من الفضائل فى الاسلام ، فهو كذلك فى المسيحية. فالانجيل يطلب من المرأة أن تغطى شعرها فى الصلاة (الاصحاح الحادى عشر من رسالة بولس الى أهل كورنتوس). والراهبات المسيحيات يرتدين الحجاب. وعندما يستقبل بابا الفاتيكان سيدة ، سواء كانت زوجة لرئيس دولة أو امرأة مشهورة ، فانها لابد أن تغطى شعرها.

لكن ماترتديه بعض المسلمات فى العصر الحاضر من ملابس تغطى وجهها وكفيها (النقاب) انما يرجع الى عادات وتقاليد خاصة فى بعض المجتمعات. والدليل على ذلك أن المرأة المسلمة عندما تحج يجب عليها أن تكشف وجهها عند الطواف بالكعبة.

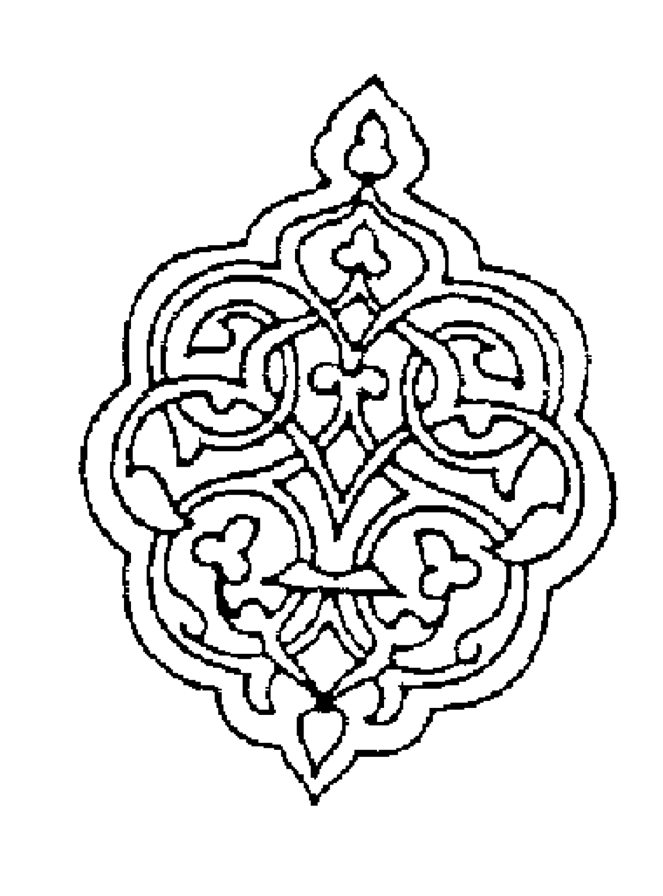
أما أن الحجاب يمنع المرأة المسلمة من التعليم أو العمل فهذه دعوى غير صحيحة. والتجربة تثبت خطأها تماما. فقد وصلت كثير من النساء المسلمات الى أعلى مستويات التعليم والعلم وهن محجبات. كما بلغن مستوى البراعة فى مجالات العمل كالاشتراك فى أعمال التدريس والطب والتمريض والادارة..الخ دون أن يكون ملبسها عائقا لها عن اداء العمل.



الادعاء بأن الزى الاسلامى للمرأة (الحجاب) لايساعدها على الحياة العصرية المنتجة ٠

لا يوجد نص فى الاسلام يحدد ماهو الزى الاسلامى ٠ وانما الموجود فقط هو التوصية بعدم كشف جسد المرأة أمام الرجال الاجانب حتى لايطمع فيها أحد ٠ وبذلك فمن الممكن أن تكون هناك أشكال متعددة للحجاب الاسلامى ٠ وهذا يتوقف على عادة كل مجتمع وطبيعة عمل المرأة فيه ٠

ما يبدو فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة من مظاهر الحجاب أمر لم يفرضه أحد على المرأة المسلمة ٠ وانما اختارته بمحض ارادتها ٠ وهى تعمل به دون أن تشكو من عقباته ٠ فلماذا لايترك لها الحق فى ذلك ، كما يترك للمرأة الهندية التى ترتدى "السار" دون أن يعوقها عن العمل ٠ والمرأة المصرية منذ آلاف السنين تعمل فى الحقل والمنزل بنفس زى الحجاب الحالى ، بل انها تعمل أحيانا كثيرة بطاقة وانتاجية أعلى من الرجل ٠



الادعاء بأن الاسلام يدعو الرجل الى الزواج من أكثر من امرأة واحدة ، وحتى أربع .

الأصل فى الاسلام انه لايدعو الى التعدد حتى انه لم يرد ى القرآن الكريم الا نص واحد يبيح تعدد الزوجات ، وهذا النص متعلق باليتيمات اللاتى تربين فى كفالة الرجل ، فيحذره القرآن من ظلمهن اذا تزوج منهن. والأفضل له حينئذ أن يتزوج من غيرهن من يشاء حتى أربع ، لكن بشرط أن يحقق بينهن العدالة فان لم يستطع فعليه الاكتفاء بواحدة. تقول الآية ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (١).

وقد نبه القرآن الكريم فى موضع آخر الى أن توافر العدالة التى هى شرط فى التعدد - من الأمور التى يستحيل تحقيقها. تقول الآية ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ (٢).

وهكذا نرى أن الأصل فى الاسلام هو الزواج بواحدة وأن التعدد انما هو استثناء ، أراد به الاسلام أن يعالج حالات خاصة تتطلبها ظروف معينة.

---

(١) سورة النساء ، الآية ٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٢٩ .

كما يحدث أحيانا فى حالة فقد أعداد كبيرة من الرجال فى الحروب ، أو ارتفاع نسبة العنوسة فى بعض المجتمعات.

وهناك بعض الحالات الانسانية تتطلب قدرا من وفاء الزوج لزوجته ، فلا يطلقها اذا كانت عقيما ، أو مريضة مرضا مزمنا فيبقيها فى عصمته ورعايته - طالما رغبت فى ذلك - مع الزواج من أخرى.

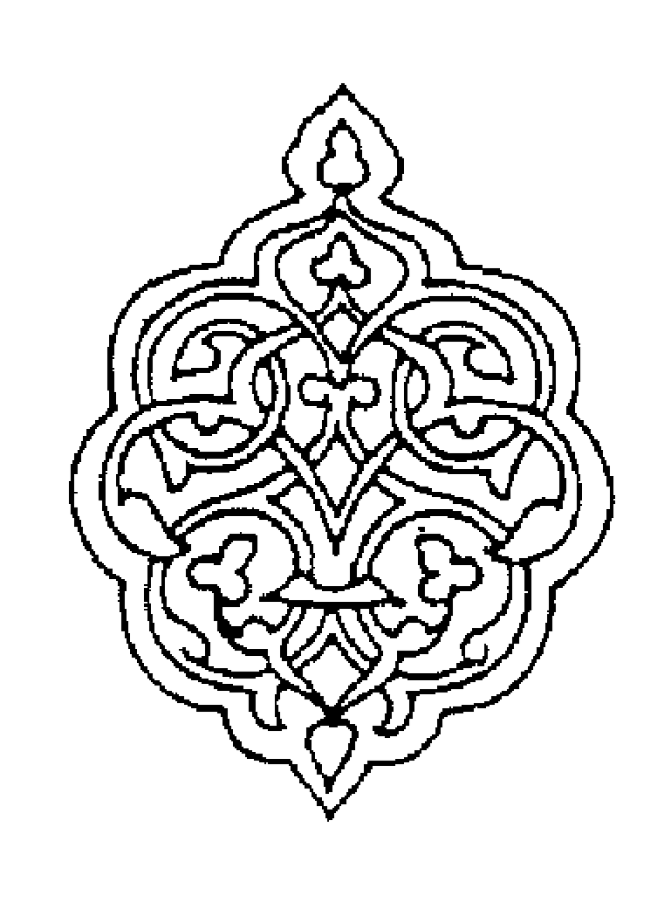
ولا ينبغى أن يحتج الغربيون بعاداتهم على شريعة سماوية نزلت للناس جميعا ، وهى صالحة للتطبيق فى كل المجتمعات وليس فى مجتمع بعينه. كذلك فهى موجهة لكل الأزمان وليس لعصر بعينه. ومن المشاهد فى بعض المجتمعات الافريقية والعربية أن ظاهرة تعدد الزوجات لاتمثل مشكلة مؤرقة ، بل انها عادة معترف بها. ويبقى أن المهم هو عدم ظلم المرأه ، أو المساس بحقوقها. ومن أهم هذه الحقوق أن المرأة المسلمة اذا أراد زوجها أن يتزوج غيرها فلها أن تطلب منه الطلاق.

وأخيرا فان رفض الغرب لتعدد الزوجات لم يمنع الرجل فى الغرب من اتخاذ عشيقة ، وأحيانا عشيقات ، الى جانب زوجته يمارس معها العلاقة الجنسية خارج اطار الزواج الشرعى ، وهذا يعد زنا محرما فى كل الأديان.

الادعاء بأن الاسلام يبيح للمسلم أن يتزوج من غير المسلمة ، ولايبيح للمسلمة أن تتزوج من غير المسلم.

الاسلام دين يحترم كل الأديان السماوية السابقة ، ويجعل الايمان بالأنبياء السابقين جزءا لايتجزأ من العقيدة الاسلامية. وفى حالة زواج المسلم من يهودية أو مسيحية فانه مأمور باحترام عقيدتها ، بل انه لايجوز له أن يمنعها من ممارسة شعائر دينها ، وذهابها الى المعبد أو الكنيسة. وفى هذا تقدير كامل من الاسلام لقيمة الأديان الأخرى.

أما اذا تزوج يهودى أو مسيحى من مسلمة ، فان عنصر احترام عقيدة الزوجة يكون مفقودا ، وبالتالى فمن الممكن جدا أن يسىء اليها ، أو يمنعها من ممارسة شعائرها ، أو يفرض على أبنائها منه ألا يعتنقوا دينها.



الادعاء بأن الزكاة الاسلامية تجعل فرصة المسلم الغنى أفضل عند الله من الفقير ، لأن ماله يساعده فى اكتساب ثواب أكبر .

المعيار الذى اعتمده الاسلام فى المفاضلة بين الناس بصفة عامة هو معيار العمل الصالح والتقوى ، كما جاء فى القرآن الكريم ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(١) . والتقوى اخلاص العمل لله تعالى سواء صدر من غنى أو من فقير .

مع العلم بأنه فى الاسلام ، تقاس الأعمال بالنيات أساسا . كما تبرز النسبية فى كل الامور ، وفى هذا الصدد ، قد يكون تصدق الفقير بدرهم واحد أو حتى بتمرة منه معادلا أو يزيد فى ثوابه عن تصدق غنى بملايين من ماله .

ومع ذلك ، فقد وسع الاسلام من مفهوم الصدقة ، حيث لم يقصرها على التبرع بالمال فقط ، وانما جعل الكلمة الطيبة صدقة ، واماطة الأذى عن الطريق صدقة ، ودعاء المسلم لأخيه الغائب صدقة ، وبر الوالدين صدقة ، وطلب العلم صدقة ، ومجرد الخروج لطلب الرزق صدقة ، والزواج خوفا من الوقوع فى المعصية صدقة . .

---

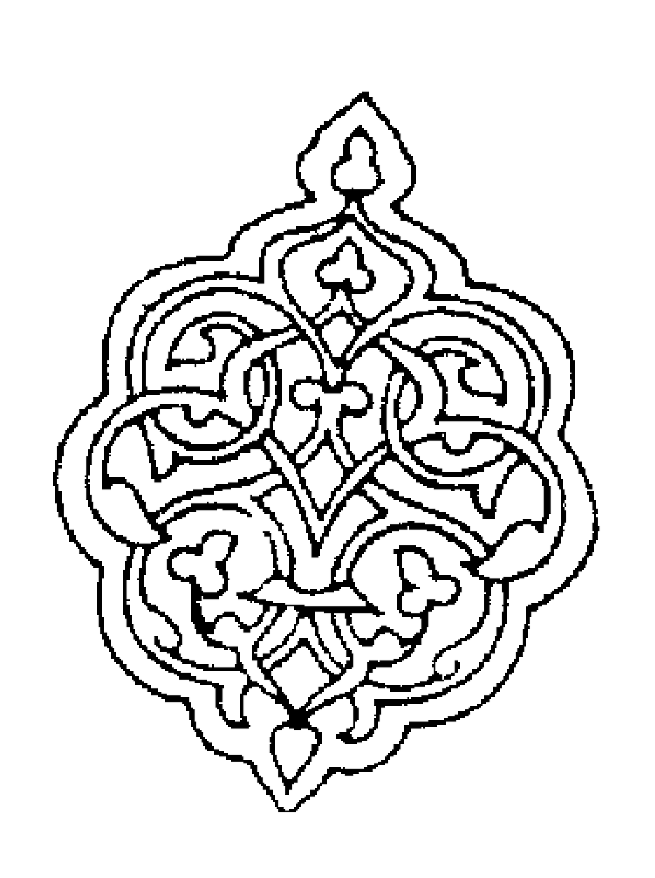
(١) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

الادعاء بأن تحريم الاسلام لحم الخنزير غير مبرر لأنه مثل سائر الحيوانات

حرم القرآن الكريم الخنزير على المسلمين فى عدة مواضع دون أن يذكر سبب هذا التحريم ، مثلما حرم على آدم الأكل من شجرة فى الجنة. وبذلك ينبغى أن ينظر الى هذا التحريم على أنه نهى الهى يجب على المسلم أن يلتزم به.

ويلاحظ أن الاسلام ليس هو أول الأديان التى تحرم الخنزير. فاليهودية تحرمه أيضا كما ورد فى (العهد القديم). وقد ثبت أن بولس هو الذى أباحه للمسيحين ، مع أن شرائع العهد القديم ملزمة للنصارى.

ومن الغريب أن المسلم يقابل بالاستنكار عندما يمتنع عن تناول لحم الخنزير ، بينما لايعيب احد على أى يهودى فى أوروبا وأمريكا يمتنع عن أكل لحم الخنزير.

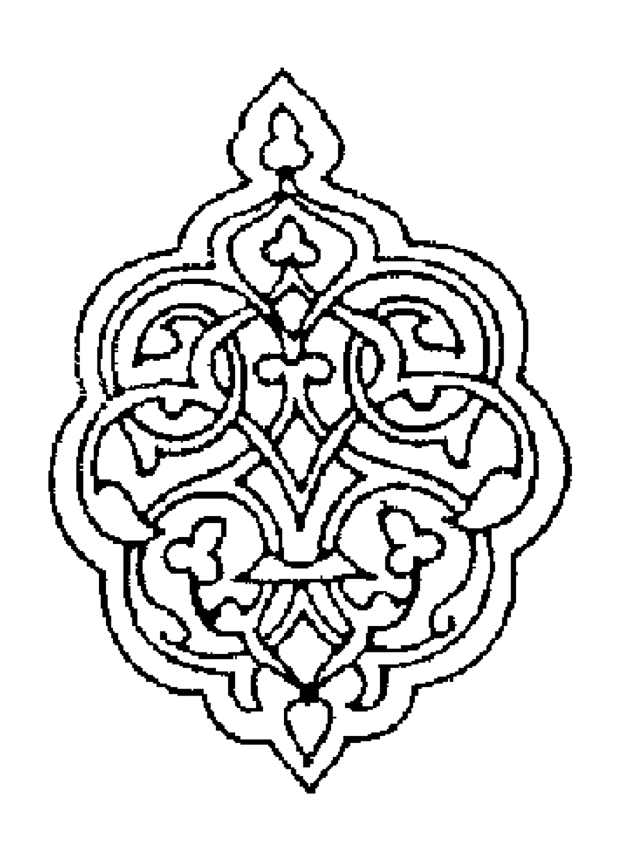


لماذا يحرم الاسلام على الرجال لبس الذهب والحرير؟

الاسلام يهدف الى اقامة مجتمع تسوده العدالة والمساواة، وتشيع فيه روح التضامن والتآخى. ولاشك فى أن تميز بعض الأفراد وخاصة من الرجال ، بزى معين ، أو باستخدام ملبس فخم (مثل الحرير) ومعادن ثمينة (مثل الذهب) يحدث كسرا لقلوب الفقراء فضلا عما يشعر به هؤلاء من استعلاء على الآخرين.

ان مراعاة مشاعر الفقراء أمر مطلوب. وظهور بعض الأفراد بمظهر مستفز يؤدى الى تحريك الكراهية والنفور فى نفوس هؤلاء الفقراء. وله من الآثار الضارة فى استقرار المجتمع ما لا يخفى. ومن هنا جاء تحريم لبس الذهب والحرير للرجال.

كذلك فان لبسهما قد يؤدى الى نوع من الليونة والتخنث يحاربهما الاسلام فى الرجال ، الذين ينبغى أن يكونوا على درجة من الخشونة تؤهلهم لمواجهة مصاعب الحياة وتحمل المسئولية.



الادعاء بأن الاسلام ضد حرية العقيدة، والدليل قتل المرتد٠

هذه دعوى باطلة٠ فقد كفل الاسلام للانسان حرية الاعتقاد٠ يقول القرآن بوضوح كامل ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (١)٠ واقرار حرية الاعتقاد تعنى الاعتراف بالتعددية الدينية٠ يقول القرآن ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ (٢)٠

وفى اطار هذه التعددية يكفل الاسلام حرية المناقشات الدينية على أساس موضوعى بعيد عن المهاترات أو السخرية من عقائد الآخرين ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٣)٠

أما المرتد فهو يمثل حالة خاصة داخل المجتمع الاسلامى٠ فهو ليس ذا دين ، بل يتلاعب بالدين ، فيدخل اليوم دينا ، ثم يهاجمه فى الغد٠ يقول القرآن الكريم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ (٤)٠

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ ٠

(٢) سورة الكافرون ، الآية ٦ ٠

(٣) سورة النحل ، الآية ١٢٥ ٠

(٤) سورة النساء ، الآية ١٣٧ ٠

ومع ذلك فان نصوص القرآن كلها لاتحتوى على عقاب المرتد بالقتل· لكن جاء فى السنة النبوية "من بدل دينه فاقتلوه"(١) والظاهر أنه ورد بشأن الذى يهجر معسكر المسلمين الى معسكر الأعداء وقت الحرب· وكل الأنظمة توجب اعدام الخونة فى وقت الحرب·

ومع ذلك يشترط فقهاء المسلمين لقتل المرتد أن "يعلن" ردته ، ويهاجم مبادىء الاسلام وتعاليمه الثابتة ، وبذلك يكون قد خرج على النظام العام للمجتمع ، وحينئذ يطلب منه الرجوع عن ذلك ثلاث مرات ، فان أصر على ايذاء المجتمع بهذا الشكل فى عقيدته وشعائره أصبح يستحق هذا العقاب·

ويلاحظ أن جميع الأديان تحمى نفسها ممن يحاول تخريبها ، أو الاساءة علنا الى معتقدات أتباعها· ومن المعروف أن قاعدة "الحرمان" معمول بها حتى اليوم فى الكنيسة المسيحية لمن ترى أنه خرج على أصولها·

---

(١) رواه البخارى ·

الادعاء بأن موقف المسلمين المعاصرين من سلمان رشدى يعارض حرية التعبير.

لابد من التفرقة بين حرية التعبير وبين اساءة التعبير وخاصة اذا تعلق الأمر بعقيدة دينية يعتنقها حوالى مليار مسلم فى العالم. والذى حدث من "سلمان رشدى" يدخل تحت هذه الاساءة. وقد اتضح تماما أنه يسعى من وراء ذلك للحصول على المال والشهرة. وأثبت نقاد الأدب أن روايته لاترقى - من الناحية الفنية الخالصة - لمستوى الروايات الجيدة ، بل حتى المتوسطة.

ومع ذلك ، فلم تكن ردود فعل المسلمين واحدة. والذى أصدر فتوى باهدار دمه هو الامام الخومينى زعيم الشيعة فى ايران. أما أغلبية المسلمين من أهل السنة فقد اكتفوا بالاستياء والرفض الاعلامى. وقد التقى به وزير الأوقاف المصرى. وطلب منه تعديل موقفه الساخر من الاسلام ونبى الاسلام فلم يقبل ، وفضل الشهرة على الاستقامة.

ويلاحظ أن كثيرا من المستشرقين الذين درسوا الاسلام قد ذكروا فى مؤلفاتهم العلمية العديد من الاتهامات والدعاوى ضد الاسلام ونبيه ﷺ ، ومع ذلك فان المسلمين قد ترجموا هذه المؤلفات الى لغاتهم ، ودرسوها ، وردوا عليها بالمنطق والاقناع. وهذا يدل على الموقف الموضوعى والمتسامح لدى غالبية المسلمين.

الادعاء بأن العقوبات الاسلامية (مثل قطع يد السارق ورجم الزانى) عنيفة ووحشية للغاية.

من المعروف أن العقوبات انما توضع للخارجين على نظام المجتمع. ونظام المجتمع الاسلامى يكفل لأفراده المحافظة على الحقوق الأساسية التالية: (الدين والنفس والمال والعرض والعقل).

ومن ثم فان الاعتداء على أى منها فى فرد واحد يعتبر اعتداء على المجتمع كله، وتهديدا لأمنه واستقراره. يقول الله تعالى ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾(١)

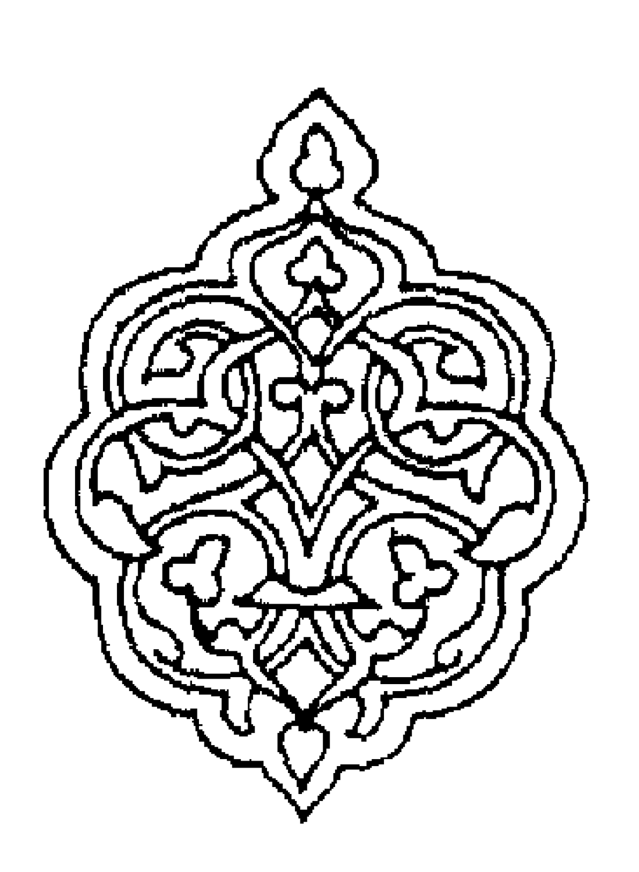
ومع ذلك، فان الاسلام يوفر لأفراد المجتمع من الحقوق مايكفيهم بحيث يصبح ارتكاب الجريمة فى حد ذاته هو الوحشية.

وعلى الرغم من أن العقوبات الاسلامية قد تبدو فى بعض الحالات عنيفة وقاسية الا أنها لاتطبق بسرعة، أو لمجرد الشبهة وانما هى محكومة بعدد من الاجراءات الدقيقة التى ينبغى توافرها، قبل ادانة المجرم، مما يجعل تحقيقها قليلا، ان لم يكن نادرا. ويمكن القول بأنها وضعت للردع والتحذير وتخويف المسلم من أن هناك جرائم لايرضى عنها الله تعالى، الذى هو أرحم الراحمين بخلقه.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣٢.

وقد كان لتحديد هذه العقوبات بهذه الصورة أثر بالغ فى تكوين ضمير جماعى لدى المسلمين عبر العصور وفى كل المجتمعات تقريبا. وهذا الضمير جعلهم يمتنعون عن ارتكاب الجرائم من منطلق دينى أكثر من خوفهم من تشريع مدنى.



الادعاء بأن الصوم الاسلامى يقلل حركة الانتاج لدى الفرد والمجتمع.

الصوم هو العبادة الثانية فى الاسلام بعد الصلاة. وهو عبارة عن الامتناع عن الطعام والشراب والعلاقة الزوجية من طلوع الفجر الى غروب الشمس خلال شهر واحد فى العام ، هو شهر رمضان.

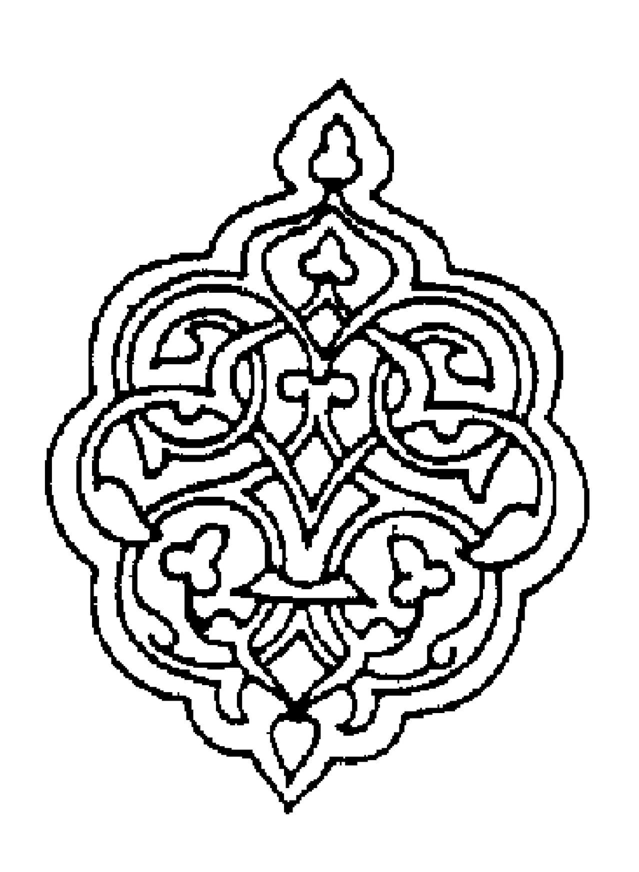
ومن حكمة الصوم أنه يعمل على تربية الارادة الانسانية بمعنى أن المسلم ـ أثناء الصوم ـ يمتنع عما هو حلال ومتاح بين يديه ، مراعاة لله تعالى ، وبالتالى فانه يصبح قادرا على الامتناع عن المحرمات.

كذلك فان الصوم يربى فى إلمسلم حاسة الضمير لأن الصوم عبادة لاتظهر على الأعضاء ، ولايعرفها عن الصائم الا الله وحده. وهذا معناه أنه لا يتظاهر بها أمام الآخرين.

وبناء على ماسبق يتضح أن الصوم يكون الانسان القوى المتحكم فى شهواته ، المخلص فى عمله. وقد ثبت أن المسلمين الأوائل قد حققوا فى شهر الصوم انجازات كبرى ، لم يمنع منها أنهم كانوا صائمين.

أما ما يشاهد حاليا فى بعض المجتمعات الاسلامية من قلة الانتاج خلال شهر رمضان فانه يرجع الى عوامل أخرى بعيدة

تماما عن الصوم ، فمن ذلك مثلا سيطرة نمط الحياة الغربية على هذه المجتمعات ، والخضوع الكبير لتأثير أجهزة الأعلام المعاصرة (كالتليفزيون) الذى يستمر فى بث برامجه طوال الليل تقريبا .



الادعــاء بــأن الاســلام لايــتمشى تمامــا مع الحضــارة الحديثـة ، والدليـل عـلى ذلـك مـاهو مشاهد من تخلف المسلمين.

تخـلف المسـلمين فـى العصور الأخيرة لايرجع أبدا الى الاسـلام ، بـل انـه يرجـع فى المقام الأول الى البعد عـن تعاليم الاسـلام ، وأحيانـا عـدم فهمهـا فهمـا صحيحـا . وهناك عوامل كثيرة وراء تخلف المسلمين لايصعب على العاقل أن يحددها .

أمـا الحضـارة الحديثـة فلهـا ايجابيـات وسلبيات. والاسلام يرفـض بصراحـة كـل سلبيـات الحضارة الحديثة ، فهو ضد الانحلال الاخلاقــى ، والتفكـك الأسـرى ، والبطالـة ، والادمـان ، والتـلوث ، وجنون التسلح .

أمـا ايجابيـات الحضـارة الحديثة فانه يدعو اليها بشدة منذ مئـات السنيــن ، وأهمهـا طـلب العـلم ، واتقـان العمـل ، وتنـظيم الطاقـات ، واحـترام الوقـت ، بل انه يزيد عليها باعداد الفرد ليكون مؤمنا بالله ، وعضوا صالحا فى المجتمع .

ان مظـاهر التخـلف والتقـدم فـى العـالم لاتتعلق بالمسيحية ولا بالاسـلام فـحسب. فاليابـانـيون مـن أكثـر شعوب العـالم تقدمـا وهـم يديـنون بديـن غـير سماوى. والصينيون لايدينون بأى دين. واذن فالتقدم والتخلف يتعلقان بأسباب وظروف محددة.

مسألة أن الشعوب الاسلامية متفرقة ومتنازعة مع أن الاسلام يدعو للوحدة.

صحيح أن الاسلام يدعو الى الوحدة والتضامن ، يقول الله تعالى ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (١)· وقد حقق المسلمون هذا المبدأ فى أحوال كثيرة. ولكن الفرقة بينهم جاءت من عوامل أخرى ، بعيدة تماما عن الاسلام ، مثل التنازع الشخصى على السلطة، وبقاء الاستعمار الغربى فى البلاد الاسلامية لفترات طويلة ، وقلة الوعى لدى الشعوب الاسلامية الذى نتج عن فترة الانغلاق الطويلة ، وعدم متابعة مايجرى فى العالم من حولها.

ومما يلاحظ أنه مع زيادة نسبة التعليم لدى المسلمين ، وكثرة اتصالهم بالمجتمعات الأخرى ، ومعاناتهم من تعصب بعض هذه المجتمعات ، بدأ المسلمون فى تكوين بعض الروابط فيما بينهم ، ومن أهمها (منظمة المؤتمر الاسلامى).

واذا كانت الفرقة تبدو بوضوح على المستوى السياسى بين الدول والحكومات الاسلامية ، فانها تكاد تزول تماما على مستوى المشاعر بين الشعوب الاسلامية· ان وقوع الأذى والظلم على أى مسلم يجعل المسلمين فى سائر أنحاء العالم يتعاطفون معه·

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

وهـذا مـا يؤكـده قـول الرسـول ﷺ : "مثـل المؤمـنين فى تـوادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (١)٠

---

(١) رواه مسلم وابن حنبل ٠

مقولة أن الجهاد الاسلامى يدفع المسلمين الى الاعتداء على الآخرين.

مما يؤسف له أن موضوع الجهاد الاسلامى مفهوم بصورة خاطئة تماما لدى غير المسلمين. فالاسلام لم يدع أبدا للحرب الا للدفاع عن الحقوق ومواجهة الظلم والاعتداء. يقول الله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(١). ويقول فى تحريم الاعتداء على الآخرين ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (٢).

بل ان الاسلام فى حالة رد العدوان يشترط المثلية فى الرد دون تجاوز، ويدعو الى التسامح، يقول الله تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾(٣).

وقد اعتمد خصوم الاسلام على بعض التجاوزات التى وقعت من بعض حكام المسلمين فى فترات تاريخية مختلفة

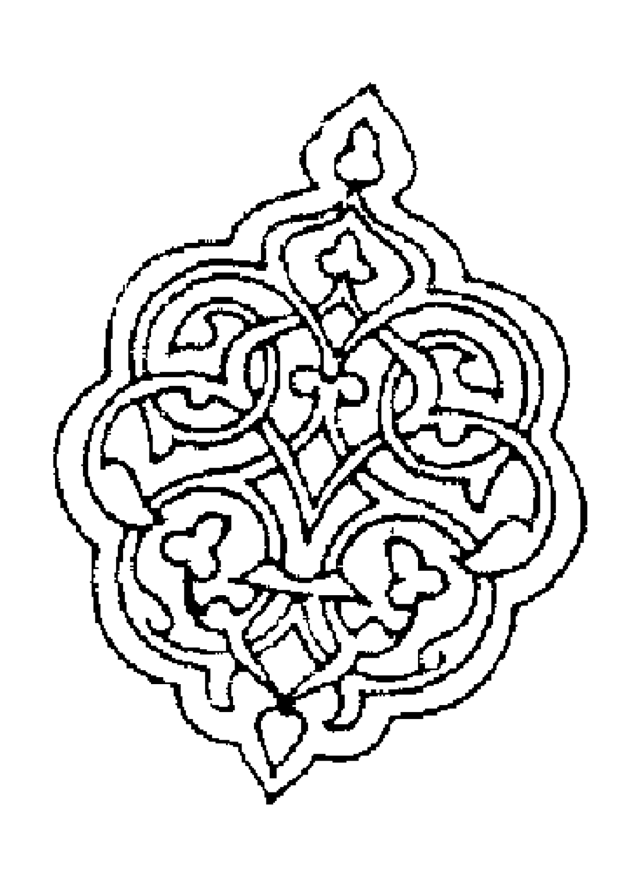
---

(١) سورة الحج، الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٦.

واعتبروها ممثلة للموقف الاسلامى من الحرب. وليس هذا انصافا ، فنصوص القرآن والسنة الصحيحة تدعو الى التعايش السلمى مع من يختلفون مع المسلمين فى عقيدتهم ، بل انها تحثهم على معاملتهم والحوار معهم بالحسنى. ويظل السبب الرئيسى فى سوء فهم موضوع الجهاد هو عدم التمييز بين موقف الاسلام ذاته ، وبين تصرفات بعض المسلمين .



الزعم بأن الاسلام ضد الديمقراطية وحقوق الانسان ، وأن الشورى ليست ملزمة للحاكم . مع اتهام موقف المسلمين من الرأى الآخر .

ليس صحيحا على الاطلاق أن الاسلام ضد الديمقراطية . فقد سبق الأنظمة السياسية المعروفة حاليا ، ومنها الديمقراطية ، فى اتاحة المشاركة السياسية لكل أفراد الأمة ، ولم يضع عليها أية قيود تعطل فعاليتها . فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ فى القرآن الكريم بأن يشاور أصحابه فى أمورهم ، فقال ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (١) ، ووصف مجتمع المسلمين النموذجى بقوله ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢)

وقد ثبت أن الرسول ﷺ كان أكثر الناس تشاورا مع أصحابه ، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده . وهناك وقائع تثبت معارضة بعض المسلمين للحكام دون أن يمسسهم أى أذى . فقد عارضت امرأة الخليفة الثانى عمر بن الخطاب فى مسألة ، نزل فيها على رأيها . وهو الذى كان يقول : "رحم الله امرءا أهدى الى عيوبى" .

وقد استخلص علماء الاسلام من هذا كله أن الشورى ملزمة

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ٣٨ .

للحاكم على الرأى الأرجح الذى يعتمده جمهور العلماء .

أما موقف علماء المسلمين من الرأى الآخر فتحكمه عدة مبادىء من أهمها : حسن الاصغاء اليه ، وعدم معاداة صاحبه أو ايذائه بالقول أو بالعمل ، والرد المقنع عليه بالحجة والبرهان ، وقد رسخت بينهم مقولات رائعة تعبر عن ذلك ، مثل "اختلاف الرأى لايفسد للود قضية" ، "رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب" .

ومما يدل على اتساع صدر المسلمين للرأى الآخر ما يوجد فى الفقه الاسلامى ، وأيضا فى علوم أخرى كثيرة ، من اختلاف وجهات النظر ، وتعددها ، والانتصار لكل منها ، وتكوين مذاهب ومدارس مختلفة تتبعها وتروج لها .

كما أن الاسلام هو الدين الأكثر رعاية لحقوق الانسان· ونصوصه الثابتة تؤكد ذلك تماما· وكذلك ما ظهر من تطبيقات فى حياة المسلمين عبر العصور·

واذا كانت فكرة حقوق الانسان قد بدأت تجرى الآن على كل لسان فى العالم ، فلابد من متابعة نشأتها المحلية الأولى فى كل من انجلترا (سنة ١٦٨٨) ، وفى الولايات المتحدة الامريكية (سنة ١٧٧٦) وفى فرنسا (سنة ١٧٨٩) - ولم يتم اقرارها على نطاق دولى الا اعتبارا من (سنة ١٩٤٨) فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وفى (سنة ١٩٥٠) فى المعاهدة الأوربية لحقوق

الانسان ، وفى (سنة ١٩٦٦) فى الاتفاقية الدولية للحقوق الإقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهى تتركز كلها حول مبدأين أساسيين هما : الحرية والمساواة ، بالاضافة الى مجموعة من الحقوق التى تحفظ حياة الانسان وكرامته داخل المجتمع.

وبأى نظرة سريعة الى القرآن الكريم والسنة النبوية ومن تربى بهديهما ، يتبين سبق الاسلام الى تأكيد كل هذه الحقوق ، بل وأكثر منها. ويمكن الاكتفاء من ذلك بمايلى :

- اعلان تكريم الانسان من حيث هو انسان : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (١).

- تقرير حق المساواة بين البشر جميعا دون التفرقة بين جنس ولون ووضع اجتماعى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (٢).

- تقرير حق الحياة والسلامة الشخصية : (أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا (٣).

ويقول الرسول ﷺ : "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم"(٤) . وأيضا "من قتل قتيلا من أهل الذمة حرم الله عليه الجنة"(٥).

---

(١) سورة الاسراء ، الآية ٧٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية الأولى .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٣٢ .

(٤) رواه مسلم وسنن الترمذى .

(٥) سنن النسائى ومسند ابن حنبل .

- التحرر من الرق والعبودية : روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعمرو بن العاص وابنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ وكتب منشورا للناس يقول فيه : انى لم أبعث عمالى - يعنى الولاة - ليضربوا جلودكم ولا ليأخذوا أموالكم. فمن فعل به ذلك فليرفعه الى لأقتص له.

- الحرية الدينية : يقول الله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (١). وأيضا ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ (٢)، وأيضا ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٣).

ومع ذلك ، فمن غير الانصاف أن تحكم وثيقة حقوق الانسان التى لم يتوصل اليها البشر الا فى النصف الثانى من القرن العشرين على الاسلام كدين متكامل أنزله الله تعالى لهداية البشر فى كل زمان ومكان.

---

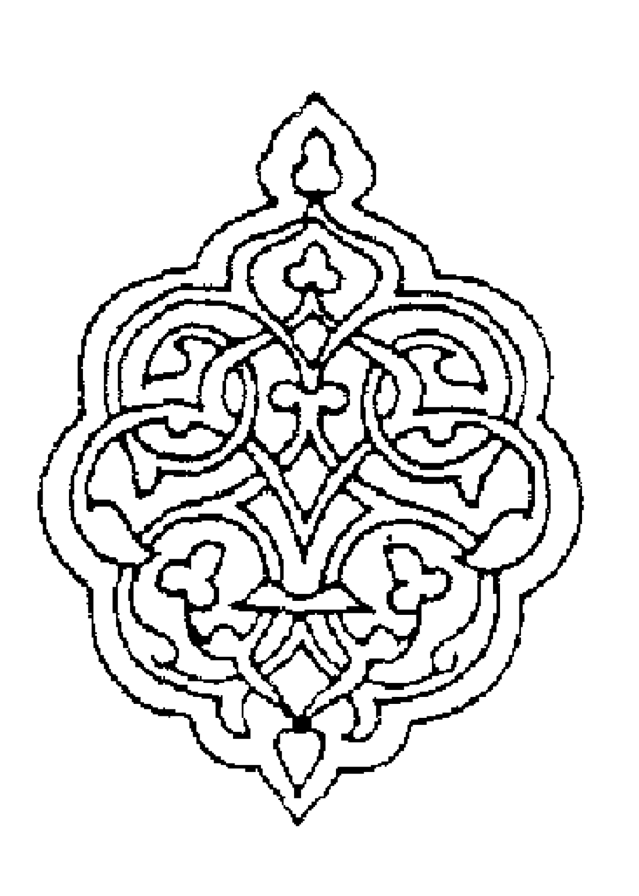
(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

(٣) سورة الكافرون ، الآية ٦ .

ويبقى دائما أن العبرة انما تكون بمدى تحقق مبادىء حقوق الانسان فى الحياة العملية• وأن تكون عامة وشاملة للناس جميعا• وليس أن تطبقها دولة متقدمة على رعاياها بينما تحرم منها بقية الشعوب الأخرى ، أو أن تلوم على تطبيقها الدول الصغرى بينما تنتهك هى فيها نفسها تلك الحقوق•

وأخيرا فان حقوق الانسان فى الاسلام تتميز بأنها تمتزج كلها بدافع دينى عميق ، كما يراعى فى تطبيقها وجه الله تعالى فى حين تخلو حقوق الانسان (المدنية) من هاتين الميزتين•



الادعاء بأن الاسلام يعادي الفنون (الموسيقى والغناء والرقص والنحت والتصوير والتمثيل).

الاسلام لايعادى الفنون فى حد ذاتها ، كما أنه لايعادى أبدا الفن الراقى الذى يسمو بمشاعر الانسان ، ويرقى أحاسيسه. بل انه يدعو الى الفن الذى يحث على الفضيلة ويدين الرذيلة.

وقد شجع الرسول ﷺ الشعراء الذين وقفوا مع المثل العليا ، والمبادىء السامية. ومما هو معروف أن فن الشعر قد تطور لدى المسلمين تطورا هائلا ، وتعددت مجالاته وأشكاله.

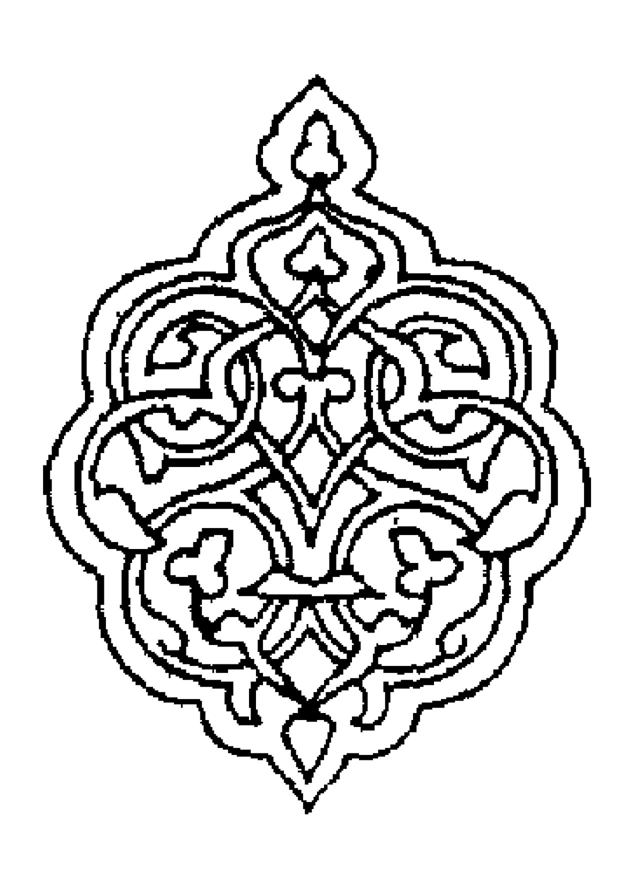
ومن الثابت أن الرسول ﷺ كان يحب الصوت الحسن ويقدر تأثيره فى نفوس السامعين ، ومن ذلك اختياره لبلال صاحب الصوت الندى ، ليقوم بدور المؤذن للدعوة الاسلامية.

وقد أسىء فهم موقف الاسلام من الفنون اعتمادا على تحريم الصور والتماثيل حتى لاتختلط بالأصنام والمعبودات المصورة التى كان يتخذها المشركون آلهة لهم من دون الله.

وقد أدرك المسلمون فى شتى المجتمعات هذه الحكمة والتزموا بها، دون أن يرفضوا الفنون تماما. فقد ازدهر على أيديهم فن الرسم ، والمعمار ، والأرابسك ، والمنمنمات ، ومختلف أنواع

التحف الفنية ، التى ماتزال اليوم موضع اعجاب فى شتى أنحاء العالم.

والخلاصة أن الاسلام انما يرفض الفن الهابط الذى يستثير الغرائز، ويحض على الرذيلة ، ويشجع الجريمة.



ادعاء أن الاسلام يدعو الى التشدد والتطرف وأن لفظ المسلم أصبح مرادفا للارهابى ٠

أما أن الاسلام يدعو الى التشدد والتطرف فهذا ضد الحقيقة تماما٠ والنصوص هنا أبلغ رد على ذلك٠ فالقرآن ينهى عن الغلو أى التشدد ، فى الدين ، فيقول ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (١)٠ ويصف المسلمين بقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (٢) ويأمر رسوله ﷺ ، والمسلمين قائلا ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ (٣)٠

والمتأمل فى أحكام الاسلام وتعاليمه يجدها أنها تتميز كلها باليسر والسماحة ، يقول الله تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٤)٠

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٧١ ٠

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ ٠

(٣) سورة هود ، الآية ١١٢ ٠

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ ٠

ويبدو هذا بوضوح فى الشعائر التى يؤديها المسلم كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، ومايـنتج عنها مـن أخلاق التراحم ، والتصافى ، والتواصى بالحق والصبر ، والتعاون على البر والتقوى. يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾(١)

ويقول الرسول ﷺ "الصيام جُنة (أى وقاية)، فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : انى صائم مرتين"(٢). وقد عد رسول الله ﷺ من الصدقة : اماطة الأذى عن الطريق ، وتشميت العاطس أى أن نقول له : يرحمك الله ، والقاء التحية ، وردها بأحسن منها. والملاحظ هنا أن تحية الاسلام المتداولة هى "السلام عليكم".

وفى عهد الرسول ﷺ نفسه ، فهم بعض المسلمين الدين فهما خاطئا ، فحسبوه انقطاعا كاملا للعبادة ، وارهاقا للبدن ، وانقطاعا عن الدنيا وخيراتها. فبين لهم رسول الله ﷺ . خطأهم فى ذلك ، وأن الدين الحق هو فى الاعتدال بين التعبد والاقبال على الدنيا ، ويظهر ذلك بوضوح من الحديث التالى :

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥ .

(٢) رواه البخارى .

جاء ثلاثة رهط(١) الى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها (أى اعتبروها قليلة) فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ؟! قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر أنا أصوم الدهر (أى كل أيام السنة) ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى(٢) . وهذا مايقرره القرآن. حين يقول ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾(٣) .

والواقع أن الاسلام جاء ليقيم الاعتدال والوسطية بعد التطرف الدينى الذى وقع فيه اليهود ، حين خالفوا الفطرة بتحريم ما أحل الله لهم ، وباقبالهم على الدنيا وأكل الأموال بالباطل . وكذلك التطرف الذى وقع فيه النصارى حين خالفوا الفطرة بفرض رهبانهم التبتل على أنفسهم والانقطاع الكامل للعبادة ، يقول الله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ (٤) .

---

(١) الرهط الجماعة من ثلاثة الى تسعة.

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) سورة القصص، الآية ٧٧ .

(٤) سورة الاعراف ، الآية ٣٢ .

وهكذا يتضح أن التشدد أو التطرف لايرجع الى الدين ، بل على العكس، انما يرجع الى التصور الخاطىء أو المنقوص للدين. وقد نبه الرسول ﷺ الى أن المتشدد فى الدين قد ينسلخ منه تماما نتيجة عدم الفهم الصحيح له :

عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما النبى ﷺ يقسم الأموال جاء عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى فقال : اعدل يارسول الله فقال : ويلك ، ومن يعدل اذا لم أعدل. قال عمر بن الخطاب : دعنى أضرب عنقه قال : دعه ، فان له أصحابا ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.(١). ومعنى هذا أنهم يتشددون فى اداء الشعائر ، ولكنهم لا يدركون مغزاها ، وفى مقدمة ذلك : حسن التعامل مع الناس.

أما تهمة الارهاب التى تلصق حاليا بالمسلمين ، فانها تعتمد على تصرفات قلة قليلة من الأفراد ، أو الجماعات التى

---

(١) الحديث متفق عليه ، وهذا لفظ البخارى .

تسعى الى تحقيق مصالحها الشخصية بالتستر تحت قناع الدين - والدين منها برىء - حتى تحظى بتعاطف المسلمين البسطاء: ولم يعرف من تاريخ النبى ﷺ والخلفاء الراشدين والصحابة أن أحدا منهم قتل أى مسالم من أصحاب دين مخالف ، أو حمل أحدا على اعتناق الاسلام بحد السيف. ولم يعرف أيضا من تاريخ النبى ﷺ وخلفائه أن أحدا منهم قتل مسلما لمخالفتة اياه فى الرأى أو مغايرته له فى المذهب. ويكفى أن نذكر هنا قول الله تعالى ان ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١). ويقول الرسول ﷺ : "كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه"(٢) وفى حديث آخر : "من روع مؤمنا لم يؤمن الله روعته يوم القيامة"(٣) وأيضا "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"(٤) وقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ (٥).

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٣٢ .

(٢) سنن الترمذى وسنن ابن ماجة .

(٣) سنن الترمذى ومسند ابن حنبل .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) سورة الاعراف ، الآية ٥٥ ، ٥٦ .

كذلك يدعو الاسلام الى التعايش السلمى بين الشعوب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١)· ويحث المسلمين على أن يعاملوا غير المسلمين بالبر والعدل ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٢)·

والواقع أن الارهاب فى الآونة الأخيرة يمثل ظاهرة عالمية· أى انها موجودة فى كل المجتمعات ، وداخل كل الأديان والمذاهب ، لكن أعداء الاسلام يحاولون قصرها على المسلمين وحدهم· وقد اندفع الاعلام الغربى فى هذا الصدد ، وخاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ، وظهرت مقوله تدعى أن الاسلام هو العدو التالى بعد الشيوعية· وما أبعد هذا عن الحقيقة والواقع· فهناك حوالى مليار مسلم مسالم يعيشون فى شتى أنحاء العالم ، وهم حريصون على الأمن والاستقرار ، بفضل مايوجد فى تعاليم دينهم من المبادىء التى تدعو الى السماحة والاعتدال·

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٣ ·

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٨ ·

كلمة ختام

وبعد ٠٠ فهذه أهم الادعاءات التى وجهت الى الاسلام قديما وحديثا ، وهى تعبر عن محاولات مستمرة للعثور على أى ثغرة فى بناء الاسلام المتماسك ، والذى قضى الله سبحانه وتعالى ، أن يكون هو خاتم الأديان السماوية الى أهل الأرض٠

وقد سجل القرآن الكريم نفسه موقف خصومه الذين حاولوا أن يجدوا فيه شبهة أو تناقضا ، كما يحدث عادة فى الكتب البشرية ، مشيرا الى أن السبب فى عدم وجود أى تناقض يرجع الى سبب بسيط ، هو أنه من عند الله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١)٠

ويهمنا فى هذه الكلمة أن نقول للمسلم : عليك أن تكون نموذجا مثاليا لأخلاق الاسلام ، فتدعو اليه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وتجادل عنه بالحسنى٠ ولا يوجد أفضل من أسلوب الاقناع الهادىء ، الذى يقوم على الحجة العقلية ، والنص الصحيح٠ وهو الأسلوب الذى حرصنا على تقديمة اليك فى هذا الكتاب سواء فى عرض صورة مبسطة للاسلام بمفهومه المتكامل ، أو فى الرد الموضوعى على أهم الافتراءات المثارة ضد الاسلام والمسلمين٠

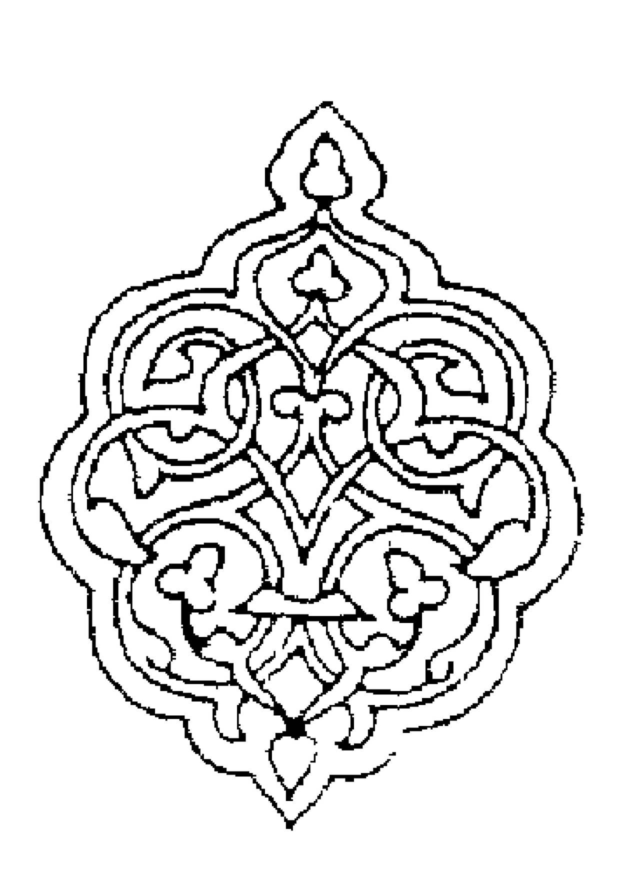
---

(١) سورة النساء ، الآية ٨٢٠

كمـا يهمنـا أن نقول لغير المسلمين ، ممن يطالعون هذا الكتـاب ، أن يجعلوا الحـق الخالص هدفـهم الأول والأخـير ، وأن يبعدوا - ولو لفتـرة - مـا علق بأذهانهم من افتراءات عن الاسلام ، أو دعايـات مغرضـة ضـده٠ فليس الأمـر متعلقـا بمذهب سياسى أو اقتصادى يـهم المسلمين أن ينتشر لكى يستفيدوا منه ، وانما أمر دين الهى ، نـزل لهدايـة البشرية كلهـا ، واخراج الناس جميعـا من ظلام الشك والحيرة ، الى نور اليقين الكامل والسعادة الأبدية٠

اللهم أجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه٠

والسلام على من اتبع الهدى ،،،



المحتويـــات

رقــم الايـداع : ٢٧٧٧٧٢١ | ٩٦
الترقيم الدولى : I. S. B. N
977 - 19 - 0248 - Z

أخى المسلم . . .
أختى المسلمة . . .

ماذا تفعل لو طلب منك شخص غير مسلم أن تذكر له باختصار حقيقة الإسلام ؟

وبماذا تجيب لو سألك عن أهم مقومات دينك، أم الحكمة من بعض تعاليمه ؟

وكيف ترد - مثلا - على من يدعى أن القرآن من صنع بشر، أو أن السنة النبوية لاتصلح للاعتماد عليها ؟

وهل لديك تعليل محدد لسبب تحريم الخنزير، أو إباحة تعدد الزوجات، أو جعل ميراث الابنه نصف الابن، أو شهادة امرأتين برجل ؟

من أجل أن يكون فى متناول يدك الإجابة الم
والحجة القوية عن أمثال هذه التساؤلات، والادعاء
نقدم اليك هذا الكتاب المركز، الذى إشترك فيه نح
كبار العلماء والمفكرين المسلمين فى مصر،
مراجعته فى الأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية.

Bibliotheca Alexandrina
0664688